العددِ ١ 21A حزيران ٢٠٢٦
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A1 Jun2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

نوري جعفر الصافي ابو لقاء (دراسة تاريخية في سياقات الانشقاق الفكر التنظيمي، الادارة الميدانية وعقيدة السيادة الوطنية)

م.م لوتس الكاظم
جامعة بغداد/مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
hlots9936@gmail.com

الملخص

يتناول البحث سيرة نوري جعفر الصافي (أبو لقاء)؛ العسكري الذي انشق عن الجيش النظامي ليصبح ركناً أساسياً في جبهة المعارضة. تكمن أهمية الدراسة في توضيح كيف استطاع نقل خبرته العسكرية إلى الميدان، والحفاظ على انضباطه المهني رغم كل التطورات التي مر بها العراق.

تتبع البحث محطات حياته بدقة؛ بدأت بقرار انشقاقه عام ١٩٨٠، ثم دوره في تنظيم فصائل المعارضة وتطوير أجهزة الاتصال. كما ركزت الدراسة على وجوده القيادي في جبهة حلبجة عام ١٩٨٨، ومشاركته في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، وصولاً إلى موقفه من تجفيف الأهوار، وحتى وفاته عام ٢٠٠٣. تخلص الدراسة إلى أن سيرة الصافي هي توثيق لجيل من الذين تمسكوا بوطنيتهم وشرف مهنتهم في أصعب الظروف.

الكلمات المفتاحية: نوري جعفر الصافي، الانشقاق العسكري، جبهة المعارضة، الانتفاضة الشعبانية، تجفيف الأهوار.

Abstract

Research Title:Nuri Jaafar al-Safi (Abu Liqa) and the Engineering of Military Opposition Action: A Historical Study of Organizational Thought, Field Management, and the Doctrine of National Sovereignty.

Prepared by: Asst. Lect. Lotus Al-Kazem
University of Baghdad
Center for Strategic and International Studies
hlots9936@gmail.com

The research examines the life of Nouri Jaafar Al-Safi (Abu Liqaa); the soldier who defected from the regular army and became a key pillar of the opposition front. The study shows how he brought his military expertise to the field, staying disciplined despite the **developments** in Iraq.

The study follows the stages of his life: starting with his defection in 1980, then his role in organizing opposition groups and communication systems. It also highlights his leadership on the Halabja front in 1988, his role in the 1991 Sha'ban Intifada, and his stand against the drainage of the marshes, leading up to his death in 2003. The research concludes that Al-Safi's career is a record of those who remained loyal to their country and professional integrity during the hardest times.**Keywords:** Nouri Jaafar Al-Safi, Military Defection, Opposition Front, Sha'ban Intifada, Marsh Drainage.

المقدمة :

يُمثل عقد الثمانينيات في التاريخ العراقي المعاصرالمحطة الاكثر حساسية في مسار المؤسسة العسكرية؛ ففي الوقت الذي كان فيه الجيش العراقي غارق في واحدة من أطول الحروب التقليدية في القرن العشرين، كانت صفوفه الداخلية تشهد صراعاً خفياً ومصيرياً. لم يكن الصراع عسكرياً فحسب، بل كان خلافاً جوهرياً بين جيل من الضباط الأكاديميين الذين تربوا على مبادئ الاحتراف المهني في الكلية العسكرية ، وبين توجيهات السلطة التي سعت لتسيس المؤسسة العسكرية وإجبار العلم العسكري على السير وراء فكر الحزب. وعن طريق تلك الظروف التاريخية الصعبة، تبرز تجربة نوري جعفر الصافي (أبو لقاء) كنموذج بارز لظاهرة المنشقين الأكاديميين الذين لم يتركوا السلاح، بل غيروا مساره نحو خدمة قضية وطنية واجتماعية مختلفة.

تتبع هذه الدراسة حياة الصافي المهنية من خلال محطات زمنية مرتبطة ببعضها اذ تبدأ الدراسة بتحليل المشهد العسكري في بداية الثمانينيات، أدى اندلاع الحرب العراقية الإيرانية إلى فرض ضغوط كبيرة على القيادات العسكرية في الجيش. وهنا ظهرت نقطت التحول في حياة الصافي عام ١٩٨٠، والتي لم تكن فعلاً عفوياً، بل كان اعتراض منه على تغيير أهداف الجيش ومبادئه . لقد مثل انشقاق الصافي انتقالاً للفكر التنظيمي الممنهج من صنف القوات الخاصة إلى صفوف المعارضة إذ لم يلتحق بالجنوب كمجرد مقاتل اعتيادي ، بل كخبير يحمل مشروعاً لتنظيم المقاومة وانتشالها من حالة التشتت إلى إطار التنظيم العسكري المنضبط لينقل السرد التاريخي إلى عمق الأهوار، اذ تولى الصافي الدور التأسيسي في بناء فيلق بدر. وفي تلك المرحلة، ظهرت عبقرية ذكاؤه بتوظيف خبرته العسكرية في تضاريس صعبة فأنشأ منظومات شبكات الاتصال اللاسلكي ، ووضع أسس الانضباط، وتقسيم الفصائل حسب نوع المهمة (مثل الاستطلاع، الهجوم، إلخ) . اذ استطاع الصافي، عبر تطبيق اليات التوجيه والتحكم ، أن يحول الأهوار من مجرد مكان للاختباء الى مراكز لإدارة المعارك التي تمتلك التقنية والقدرة على استنزاف جيش نظامي متفوق عددياً، مؤسسا بذلك لنوع فريد من الحروب غير النظامية المعتمدة على العلم الأكاديمي. يرصد البحث التحول الصعب في التسعينيات، حين لجأ النظام إلى تخريب البيئة بشكل شامل عبر تجفيف الأهوار لأضعاف المعارضة. هنا، يبرز دور الصافي كقائد ميداني أدار سبل العيش والتحرك والمقاومة في أرض مكشوفة تماما. لقد كانت مساهمته التاريخية في هذه الحقبة تكمن في الحفاظ على تماسك المنظومة وحماية الأفراد والقيادات من الضياع أو التفرق، مبتكراً أساليب المناورة والتحرك اللاسلكي السري، مما أبقى على الهوية المؤسسية للمعارضة حية رغم محاولات السحق الجغرافي.

إن الدراسة، بمنهجها الوصفي التحليلي ، سعت لتقديم قراءة منصفة وحيادية، تضع نوري جعفر الصافي في مكانه الطبيعي العسكري الذي استطاع الربط بين هيبة الرتبة العسكرية والبعد الانساني للعقيدة ، ليترك أرثا لا يُمحى في تاريخ العقيدة الأمنية والعسكرية للعراق المعاصر

المبحث الاول : التكوين الأكاديمي ومنعطف الانشقاق العسكري (١٩٥٥ – ١٩٨١)

١.الجذور الاجتماعية والمسار القتالي لنوري جعفر الصافي (١٩٥٥ – ١٩٧٩): من الوجاهة الروحية إلى الريادة الميدانية

تُمثل مرحلة البواكير في حياة نوري جعفر الصافي (أبو لقاء) الاساس الذي شكل ملامح شخصيته القيادية ذات الاهداف والمبادئ ؛ إذ تعود جذوره من قلب مدينة الحي بمحافظة واسط، وفي كنف أسرة علوية نالت مكانة (السادة آل الصافي) اجتماعية رفيعة، اذ منح تنشأته سماتا تمازج فيها الاتزان النفسي مع التأثير الاجتماعي المحترم . ويظهر في السجل التاريخي لهذه العائلة اسم السيد محسن الصافي كجد جامع، ومن ثم ابنه السيد جعفر (والد نوري)، اللذين بنيا علاقة وثيقة من المصاهرة والنسب مع كبار عشائر المنطقة، لاسيما بيت عرار وبيت قناص من عشائر الشحمان ؛ ذلك الترابط الشديد لم يكن مجرد صلة قرابة فقط، بل شكل سند قوي و ظهيراً عشائرياً وفّر لأبو لقاء غطاء امني خلال الاوقات الصعبة ، مكنته لاحقاً من المناورة والمراوغة في بيئة جغرافية سمحت بالاختباء والحماية المشتركة ضد التعقب الاستخباراتي للسلطة (عالم حي، ٢٠٢٦).

ولم تكن عائلة أبو لقاء مجرد عائلة متدينة منغلقة ، بل كانت ملاذاً موثوقاً يلجأ إليها الناس فضلا عن كونها عنصراً حيوياً في الحفاظ على التعايش والأمان بين العشائر ؛ إذ يعتبر والده السيد جعفر نموذج المثقف الواسع المعرفة الذي طوع المنبر الحسيني كأداة لتوعية الناس وتثقيفهم ، بينما تحولت داره إلى وجهة للعشائر لحل الخلافات، مما زرع في نفس نوري مفهوم القيادة كمسؤولية أخلاقية تتجاوز الذات. وفي ذلك الجو العائلي الذي اعتنى بالتعليم مبكراً ، وُلد نوري الصافي عام ١٩٥٥م في ناحية البشائر، وهي المعلومة التي تثبتها الوثائق الرسمية (الجنسية) وتقطع الشك باليقين، كما تؤكدها ابنته (**تقى نوري الصافي**) في توثيقها الشفهي للباحثة (**الصافي، مقابلة شخصية، ١٦ فبراير ٢٠٢٦**). اكتسب نوري من بيئة البشائر شخصيته وحضوره الطاغي جمع بين وقار الريف وطموح المدينة، وهو ما أهّله لاحقاً للالتحاق بالكلية العسكرية العراقية، الصرح الذي اعاد بناء تصوراته وفق انضباط ومهنية عالية. ومن ذلك المنطلق تجلت الشخصية العسكرية لنوري جعفر الصافي، الذي صقلت تجربته في صنف القوات الخاصة ملامحه كقائد ميداني استثنائي ، زاوج بين قوة المقاتل ودقة التفكير ؛ وهو صنف يعتمد بالدرجة الأولى على سرعة البديهة في المعارك. تدرج أبو لقاء في السلم العسكري حتى نال رتبة نقيب، وهي درجة رفيعة منحته رؤية تتجاوز التنفيذ العسكري الى القيادة الواسعة والشاملة للمهام وخلال تلك المرحلة المهنية ، تغلغل الحراك الرسائلي للشهيد الصدر الأول في وعيه، ليجد نفسه في مفارقه قيميه حتميه مع إملاءات النظام القائم؛ فكان قراره بالانحياز لمبادئه

انتقالاً وجودياً، غادر إثره نحو إيران لإعادة التنظيم السياسي والعسكري **(الصافي، مقابلة شخصية، ١٦ فبراير ٢٠٢٦)؛ (عالم حي، ٢٠٢٦).**

ساهمت خبرة نوري الاحترافية في صنف القوات الخاصة في وضع الاساس لتشكيلات المعارضة، اذ ان طبيعته كمقاتل فضلا عن ارتباطه وحنينه للعراق دفعاه للعودة برغبة ملحة نحو الأهوار. استطاع الصافي توظيف تخصصه العسكري في حماية هيكلية الجماعة ، مستفيداً من العمق الريفي لعشائر الشحمان الذي كان بمثابة ظهير استراتيجي حمى مسيرته من الملاحقة **(قناة الفرات الفضائية، ٢٠١١)**. وبذلك، اجتمعت في سيرة أبو لقاء عراقة المنشأ، وحنكة التخطيط، وايمانه الراسخ بالتضحية من اجل مبدأه ، ليكون نموذجاً للمجاهد الذي لم يورث العلم والوجاهة فحسب، بل أورث تاريخاً من الجهاد الذي وصفه رفاقه بأنه أربك السلطة بصلابته وتضحياته **(مركز دراسات شهيد المحراب، ٢٠٠٨)**.

٢: سياقات ودوافع انشقاق الصافي (١٩٨٠ – ١٩٨١)

تمثل دراسة سياقات الانشقاق العسكري لنخبة الضباط الأكاديميين في مطلع الثمانينيات، وفي مقدمتهم نوري جعفر الصافي (أبو لقاء)، المقياس الفعلي لفهم المنعطف الوجودي بين الدولة و السلطة الحزبية الحاكمة في العراق. إن هذا الانشقاق لم يكن مجرد فعل اعتراض رسمي ، بل كان إعادة صياغة لمفاهيم كيان المؤسسة العسكرية العراقية، التي كانت تمر بمرحلة تغيير إجباريه وصعبة من نموذج الجيش الوطني الاحترافي إلى الجيش القائم على الولاء السياسي **المؤمن،(٢٠٠٤).** الا أن الفترة التي أعقبت تموز ١٩٧٩ شهدت ما يُعرف بـ عملية إفراغ المؤسسات من كوادرها ؛ اذ عمد النظام إلى تفكيك الخبرة العسكرية المدروسة للضابط المحترف لصالح الولاء الأعمى للحزب، مما وضع خريجي الكلية العسكرية المنشقين من الضباط المختصون والخبراء أمام صدام وجودي بين قيمهم العسكرية العلمية وبين شروط الطاعة المطلقة التي بدأت تقضي على قيمة الرتبة وشرف المهنة. إن الوضع الاجتماعي والسياسي لتلك السياقات يكشف نشوء حالة من فقدان القائد والعسكري لمكانته ودوره الحقيقي **فالح عبد الجبار (٢٠١٠)** وتهميشاً لأصحاب القرارات المهنية المختصة لصالح التوجهات الحزبية. فبالنسبة لشخص بوزن نوري جعفر الصافي، الذي تشبع بالخبرات العسكرية الواسعة وأخلاقيات المهنة، كان فرض نظام نظام الرقابة الحزبية داخل الجيش داخل الوحدات العسكرية يمثل طعنة في أساس النظام والقيادة العسكرية

أن سياقات الانشقاق في تلك الفترة كانت محاطة بظروف الاغتيالات المنظمة للضباط الذين لا تثق الدولة بإخلاصهم لها ، مما جعل خروج الصافي وتحوله نحو مناطق الأهوار تحرك عسكري مليء بالمخاطر الكبيرة. اذ كان الصافي يدرك أن النظام بدأ بممارسة استغلال العوائل كوسيلة ضغط ضد عوائل الضباط، ومع ذلك فضل الوقوف مع المشروع الوطني المقاوم. إن هذا التمهيد يوضح كيف تحول الانشقاق من مجرد ترك للوظيفة إلى تأسيس خلية عسكرية منظمة بدأت في مستنقعات الجنوب، اذ يوثق **المؤمن، علي. (٢٠٠٤)**. كيف استطاع الصافي بعبقريته تسخير طبيعة الأرض الوعرة وجعلها ساحة ومنطلقاً لهجمات حرب الغوار ، مثبتاً أن العلم العسكري عندما يقترن بالحق والمبدأ، فإنه يتفوق على أقوى وأقسى أجهزة الأمن والاستخبارات. **جاسم الغرابي (٢٠١٢)** أن دوافع الانشقاق النوعي للصافي ورفاقه أدت إلى نقل أساليب القيادة العسكرية إلى الهور؛ فلم يعد العمل المسلح يعتمد على الهجمات غير المنظمة، بل تحول بفضل هؤلاء الضباط المنشقين إلى عمليات مخطط لها عسكريا ، تعتمد على قراءة تحركات الخصم بناءً على معلومات مؤكدة و التخطيط الذكي للتنقل في ممرات الهور. **جاسم الغرابي (٢٠١٢)** اذ إن دافع الانشقاق في جوهره كان يهدف إلى تحويل القتال من حركات فردية إلى عمل منظم وصبغه بالصبغة العسكرية التي افتقدها الجيش الرسمي بعد تسييسه.

أ. تحولات العقيدة العسكرية وأزمة المهنية (١٩٧٩-١٩٨٠)

لم تكن المرحلة التي تلت صعود النظام في تموز ١٩٧٩ مجرد تغيير رأس السلطة السياسي أو استبدال قيادة بأخرى، بل كانت عملية تغيير جذري وشامل للهوية القتالية والجسم التنظيمي للجيش العراقي. تاريخياً، استندت عقيدة الجيش العراقي منذ تأسيسه عام ١٩٢١ إلى العمل العسكري المتخصص المستمد من التقاليد العسكرية الغربية، والذي يكرس مبدأ إبعاد الجيش عن السياسة كضمانة لوحدة المؤسسة وصيانة دورها الوطني. **رائد حميد (٢٠١٦)** إلا أن المدة (١٩٧٩-١٩٨٠) شهدت فرض مفهوم الجيش العقائدي ، وهو تغيير فكري جذري هدف الى تفكيك العقيدة الوطنية الموحدة واستبدالها بـ السيطرة الحزبية الكاملة، ليتحول دورة الجيش من حامٍ للدولة ككل ولجميع المواطنين إلى أداة لحماية الحزب الحاكم وأداة لضمان بقاء السلطة فوق مصالح المجتمع الكلية.

ويفسر ذلك التحول التاريخي ظهور صدام قوي على المبادئ داخل الثكنات؛ حيث اصطدمت القيم المهنية الأكاديمية التي تلقاها العسكريين -وفي مقدمتهم نوري جعفر الصافي- مع أفكار الحزب المفروضة بالقوة المستحدثة التي بدأت تسيطر على التعليم العسكري جرت عملية إبعاد مقصود ومنظم لمفهوم العلم الحربي لصالح الولاء التنظيمي الضيق **رائد حميد (٢٠١٦)**، إن المؤسسة العسكرية فقدت في تلك اللحظة استقلاليتها الفنية ؛ إذ لم يعد تقييم الضابط يستند إلى مهاراته في فهم الوضع الميداني أو مهارة التخصص في الصنف أو دقة الرماية، بل أصبح الولاء هو المعيار الأوحد والحاكم في الترقية وتولي القيادة. ان ذلك الانقلاب في المفاهيم أنتج ما يمكن تسميته بـ انقسام داخل المؤسسة ، اذ أصبحت الرتبة العسكرية لا تعبر عن الكفاءة العلمية بقدر ما تعبر عن الدرجة الحزبية، مما دفع الضباط المحترفين إلى شعور عميق بـ الإحساس بأن المؤسسة لم تعد تمثلهم

تمثلت أزمة التراجع الانضباط المهني في أوضح صورها الإدارية من خلال وضع أسس نظام المراقب الحزبي وإلحاقه بـ مكتب الشؤون العسكرية التابع للقيادة القطرية. وهو نظام استخباراتي ببدلة عسكرية يهدف لمراقبة الضباط لا لمساندتهم. تلك الهيكلية لم تكن إدارية اعتيادية ، بل هدفت إلى خلق قوة تفتيش فوق الجميع عملت على تشتت القرار العسكري وتحطم هيبة الآمر **فالح عبد الجبار (٢٠١٠)** ذلك التغلغل وصف بانه عملية هدم نظام القيادة والأوامر؛ اذ خضعت أوامر الحركة، والتموين، والتدريب، وحتى توزيع الوقود والعتاد، لرقابة كوادر حزبية مدنية في جوهرها لا تمتلك الخبرة الميدانية، لكنها تمتلك سلطة التقارير السرية الرسمية تحت غطاء الحزب.

يُعد الصافي نتاجاً أصيلاً لجيل من الضباط الأكاديميين الذين تخرجوا في الكلية العسكرية العراقية خلال حقبة السبعينيات؛ وهي الفترة التي وُصفت تاريخياً بأنها عصر جيل العقول والخبراء. إذ عاصر هذا الجيل قمة الانفتاح العسكري العراقي على المدارس العالمية المتباينة (الفرنسية، البريطانية، والسوفيتية)، مما مكنهم من إجادة فنون القتال الحديثة بمفاهيمها التقنية والتكتيكية المتطورة إلا أن التحولات السياسية التي شهدها عام ١٩٧٩ فرضت على تلك الكفاءات واقعاً صادماً؛ اذ بدأت ملامح سياسة الإبعاد الهادئ' للخبرات العسكرية غير المؤدلجة، وإعادة الفرز بناءً على عمق الانتماء والولاء الحزبي بدلاً من الكفاءة الميدانية. ذلك الامر أدى إلى شعور عام بـ ضياع الخبرات، وكان الدافع الأساسي لبروز نخبة من الضباط المحترفين، ومنهم الصافي، الذين رفضوا الانصياع لهذا التحول المؤسسي، وقرروا نقل خبراتهم الأكاديمية ونظرياتهم في تغيير الميدان إلى ساحات المعارضة، محولين بيئة الأهوار الصعبة إلى ساحة عمليات عسكرية لتطبيق ما تعلموه في أرقى المؤسسات العسكرية ؛ اذ جرى إبعاد الكفاءات الأكاديمية و الضباط المتدينين عن الصنوف الفنية الحساسة (مثل الاستخبارات والقوات الخاصة) ونقلهم إلى وظائف إدارية هامشية أو وحدات خلفية بعيدة عن مسرح القرار القتالي تحت مسمى إعادة التنسيب.

كان الصافي، بصفته ضابطاً متميزاً في صنف القوات الخاصة وعقلية أركانية فذة، وجد نفسه في بيئة لا تحترم الخبرات ؛ حيث مُنع الضباط من ممارسة شعائرهم الدينية أو قراءة الكتب المستقلة، وفُرضت مراقبة دقيقة جداً على حياتهم الشخصية وتواصلهم الاجتماعي **المؤمن، علي. (٢٠٠٤)**.أن هذا التهميش الممنهج هو الذي ولد مجموعة الضباط المتعلمين الرافضين للواقع ؛ إذ أدركت النخبة العسكرية أن بقاءها داخل المؤسسة الرسمية يعني التنازل الكامل عن الهوية المهنية والالتزام الأخلاقي ، مما جعل قرار الانشقاق لا يبدو هروباً بل خروج لإنقاذ العلم العسكري لتأسيس بديل وطني يحترم الاحتراف. هذا الوعي هو ما تجلى لاحقاً في قدرة الصافي على نقل نظام الإدارة العسكرية العليا إلى جغرافيا الأهوار، محولاً المقاومة المسلحة من فعل عفوي غير منظم إلى مؤسسة عسكرية رصينة تدار بعقول الأكاديميين المنشقين.

من أصعب التحولات التي مرت بها المؤسسة العسكرية حينها هي ظاهرة توزيع الرتب بقرارات استثنائية، اذ أصبحت الترقيات تتم خارج إطار القانون العسكري المعروف. فبدلاً من تكريم الضابط بناءً على سنوات تعبه وخدمته الفعلية في الميدان، أصبح الانتماء للحزب وقدم الخدمة فيه هو المعيار الأساسي للترفيع ذلك النهج دمر مبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب؛ فبدلاً من أن يصعد الأكفأ والأجدر، سيطرت المحسوبية والولاءات الشخصية على الوظيفة العسكرية. وبذلك، تحول ولاء العسكري من الإخلاص للمؤسسة والوطن إلى الإخلاص للأشخاص والجهات السياسية التي تمنحه الرتبة والمكانة. **محمد علي شبر (٢٠١٠)** أدى ذلك الانهيار القيمي إلى شعور بالإحباط الشديد في الروح المعنوية للعسكريين فبينما كان الضابط المحترف يقضي سنوات في دراسات كلية الأركان المجهدة ودورات الصنف الحتمية لنيل ترقية مستحقة، كان يرى زملاء له (أقل منه كفاءة وعلماً) ينالون رتباً أعلى وقِدماً عسكرياً بقرارات مفروضة من الأعلى صادرة من مجلس قيادة الثورة بناءً على ولائهم التنظيمي فقط. ويفسر أن ذلك لإجراء أدى إلى ما يسميه تهميش العقل الأكاديمي لصالح العلاقات الشخصية ، أي تسليم مصائر

القطعات الكبرى والفيالق لعقليات غير مدربة أكاديمياً تفتقر لأساسيات قيادة الحروب الحديثة، مما مهد الطريق للكوارث الاستراتيجية اللاحقة كان الصافي يقدر المنطق العسكري والتخطيط القائم على أسس المعرفة الحربية، رأى في ذلك المسار طريق مسدود للجيش كقوة وطنية قيادية حامية للبلاد. ذلك الشعور بـ الظلم داخل الجهاز العسكري هو الذي دفع بالعديد من الضباط الأكاديميين للبحث عن البديل الذي يعيد الاعتبار للضابط المحترف و يوظف دراسته في العمل الميداني في قالب وطني أخلاقي. وذلك يفسر لماذا أدار الصافي ورفاقه العمليات في الأهوار بـ روح الأركان وليس بعقلية العصابات؛ حيث كانت الخبرة الأكاديمية المستلبة في بغداد هي المحرك الأساسي والعمود الفقري لبناء العقيدة القتالية الجديدة في الجنوب العراقي.

ب. الدوافع الاستراتيجية: الصدام الوجودي بين علمية الحرب وعبثية القرار السياسي

لم يكن انشقاق نوري جعفر الصافي ورفاقه من الضباط المشهود لهم بالكفاءة مجرد تخلٍّ عن المسؤولية، بل جسّد احتجاجاً مهنياً صريحاً على تقويض التقاليد العسكرية الراسخة. اذ أدرك هؤلاء الضباط، بفضل خلفيتهم الأكاديمية وانضباطهم العالي، أن معايير المؤسسة العسكرية بدأت تتآكل لصالح 'الولاء الحزبي' على حساب الكفاءة والمهنية.

وتجلى هذا الانهيار في نقطتين أساسيتين:

١.تهميش الخبرة: استُبدلت خطط (هيئة الركن) المبنية على دراسة الميدان وأرض المعركة، بقرارات سياسية تأتي من مكتب الشؤون العسكرية في الحزب، وهي جهة لا تملك الخبرة في إدارة الحروب.

٢.إهمال الاحتياجات الأساسية: أدى هذا التدخل السياسي إلى ضياع حقوق المقاتلين؛ حيث غابت الدقة في تأمين العتاد والطعام والنقل، لأن القرار أصبح بيد السياسي وليس بيد القائد العسكري الذي يعرف احتياجات جنوده على الأرض.

باختصار، كان الصافي يسعى لاستعادة هيبة المهنة، وفصل السلاح عن الصراعات السياسية ليعود الجيش مؤسسة وطنية تحمي الجميع. **المؤمن علي (٢٠٠٤).**

أن الصافي وجد نفسه أمام مواجهة صعبة مع مبادئه؛ فبينما كانت المدارس العسكرية التي تخرج منها تقدس وتهتم في جمع المعلومات الدقيقة و دراسة تضاريس المنطقة وظروف المناخ والإمكانيات الهجومية المتوفرة ، كانت القيادة تفرض خطط الهجوم الشامل والمندفع دون تأمين احتياجات الجنود الخلفية أو الغطاء الجوي الكافي، مما حول ضباط الأركان إلى مجرد منفذين لمعارك عسكرية كبرى في جبهات المحمرة والبصرة. **(مجلة رسالة العراق العدد ٤٩، ١٩٨٢)**، وظهر أن الصافي رصد ضياع هيبة القائد أمام نفوذ "المفوض السياسي" (Political Commissar)؛ وهو عنصر حزبي برتبة صغيرة أحياناً يمتلك القدرة على إلغاء أوامر القائد العسكري، مما أدى إلى عجز عن التحرك الميداني وغياب روح الإبداع في القتال ، وهو ما دفع الصافي لليقين بأن المؤسسة تُساق نحو إلى نهاية مأساوية ، أن الصافي اطلع على إهمال التدريبات المهنية لكل صنف لصالح الانشغال بالدعاية الحزبية على حساب العلم ، مما أفقد الجيش العراقي طابعه المهني المتخصص ومرونته في التكامل القتالي بين الصنوف **جاسم الغرابي (٢٠١٢)** ان الدافع كان هنا رغبة في الإصلاح والحفاظ على ما تبقى ؛ فقد أراد الصافي بناء تجربة عسكرية منافسة ومنظمة في الأهوار يثبت من خلاله أن الاحتراف الأكاديمي والضبط العسكري هما القادران على تحقيق النصر، وليس القتال العفوي غير المدروس. لقد نقل الصافي معه "عقلية الأركان" إلى الأهوار، مطبقاً تكتيكات حرب الغوار المنظمة (Organized Guerrilla Warfare) المبنية على العلم والسرية، محولاً منطقة المستنقعات من مجرد مخبأ إلى معسكر منضبط علمياً يدار بأسس العلم العسكري الحديث، (**صحيفة الجهاد ،١٩٨٤)** أن "الاحتراف المهني" كان الحصن الذي حمى هويته هؤلاء الضباط من الانخراط في الفوضى **(الغرابي، ٢٠١٢؛ صحيفة الجهاد، ١٩٨٤)**. وترى الباحثة انه على الرغم من القيمة التنظيمية لهذا التحول، إلا أن القراءة النقدية لـ **تداعيات** هذا الانشقاق تكشف عن تناقض غريب في النتائج ؛ ففي الوقت الذي نجحت فيه هذه النخب في حماية المبادئ العسكرية الصحيحة داخل فضاء المعارضة، ساهمت تلك **التداعيات** في سحب العقول والخبرات من الجيش ، مما عجّل في فقدان قدرتها على الدفاع عن مهنيتها وتركها الساحة مفتوحة لعمليات صبغ الجيش بصبغة الحزب او مسح كامل للخبرات

ج. المحرك العقائدي والرسالي: أثر المدرسة الصدرية في صياغة عقيدة الرفض

لا يمكن قراءة دوافع الانشقاق تاريخياً بمعزل عن المبرر العميق للبقاء والمصير التي وفرتها الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وتحديداً المدرسة الصدرية بزعامة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر. إن هذا المحرك لم يكن ثانوياً أو شعوراً عاطفياً، بل كان السند الروحي والحجة الشرعية التي كسرت قيود الولاء للنظام. أن النداءات الثلاثة

للصدر أحدثت انقلابا معرفياً في قلوب الضباط والجنود داخل المعسكرات ؛اذ نقلت مفهوم الجندية من طاعة الحاكم الديكتاتور إلى طاعة الواجب الديني والأخلاقي في مواجهة الظلم **(الطائي، ٢٠١٧)**.

كانت الفتوى الصريحة بـ حرمة الانتماء للبعث للصافي هي الشرارة التي قطعت خيوط الولاء الرسمي اذ أن الدافع العقائدي تمثل في السعي لدمج الانضباط العسكري بالروح الرسالية ؛ لخلق نموذج القائد المؤمن الذي يجمع بين العلم الحربي والثبات على المبادئ . لم يكن الصافي يبحث عن نجاة شخصية من الموت في الجبهات، بل كان يسعى لإثبات أن الجندي المسلم هو الأكثر انضباطاً وعلماً، رداً على محاولات السلطة تصوير التدين كعامل ضعف أو عدم ولاء وطني. أن هذا الاندماج هو ما منح انشقاق الصافي قيمة استثنائية بعيدة المدى ؛ فالفعل لم يكن هروباً بدافع الخوف، بل كان انتقالاً مدروساً لمركز قوة جديد نحو ميدان التحرير الحقيقي، حيث تصبح البندقية أداة بيد الحق لا بيد السلطة. إن يقظة الضمير القتالي التي قادها الصافي كانت تطبيقاً ميدانياً لمفهوم الجهاد الدفاعي ضد نظام قام بإقصاء الخبرات بناءً على معايير الولاء الحزبي. ان الصافي نقل مبادئ الصدر في التعامل الإنساني إلى تعاملاته مع المقاتلين، مما خلق جيشاً عقائدياً يمتلك "عقيدة قتالية" تتفوق معنوياً على أدوات النظام، محولاً الفرد المنشق من مجرد هارب من الخدمة إلى مقاتل صاحب مبدأ يمتلك قضية **(الأسدي، ٢٠٠١)**

لم تكن المسيرة العسكرية لنوري جعفر الصافي (أبو لقاء) مجرد استجابة لظرف سياسي عابر، بل كانت تجسيداً لتقاطع مرجعي وميداني عميق؛ إذ تشكل وعيه الحركي الأول في كنف مدرسة الشهيد محمد باقر الصدر، التي مثلت له الأساس الأخلاقي والمبرر الديني للخروج على المؤسسة العسكرية للنظام السابق. فالصافي، الذي امتلأ وجدانه بمنهج الصدر حول التغيير الاجتماعي والسياسي، وجد في فتوى "حرمة الانتماء لحزب البعث" المبرر الأخلاقي والقانوني للتخلي عن الرتبة العسكرية الرسمية والالتحاق بصفوف المعارضة ، محولاً وظيفته من ضابط أركان في جيش نظامي إلى قائد أساسي في مشروع حرب تغييرية. مع انتقال الصافي إلى ميادين المواجهة الفعلية في الأهوار، ظهر دور السيد محمد باقر الحكيم (شهيد المحراب) كـ حضن تنظيمي استوعبت هذه الخبرات الأركانية و جعلتها جزءاً من كيان عسكري مرتب تمثل بـ "فيلق بدر". وهنا تجلى مزيج نادر في شخصية الصافي؛ وظل وفياً لمنطلقاته الصدرية كـعقيدة، بينما أثبت انضباطاً عالياً تحت قيادة الحكيم كـ أسلوب في الإدارة والتنفيذ، اذ أدرك السيد الحكيم مبكراً القيمة النوعية للصافي، ليس كجندي فحسب، بل كعقلية احترافية في التكنولوجيا العسكرية قادر على تأسيس البنية الاساسية للمقاومة ، وهو ما دفع بالصافي لتولي مسؤوليات جسيمة في تأمين التواصل العسكري ؛ اذ ان دور الصافي المحوري في تأمين خطوط التواصل الصعبة والمؤمنة بين مقرات القيادة وقواعد الداخل مكنه من صياغة وسيلة ربط آمنة ربطت بين الرؤية السياسية للقيادة الحكيمية وبين الواقع التكتيكي للمقاتلين في عمق الأهوار. وبذلك، استطاع الصافي أن يغلق المسافة بين الأفكار والمبادئ الدينية والميدان العسكري، مصيغاً نموذجاً للضابط الذي يجمع بين دقة الخبير العسكري مع إخلاص المقاتل "المجاهد"، وهو ما جعل مسيرته تتسم بالثبات التنظيمي والفاعلية الميدانية حتى لحظة التحول التاريخي في عام ٢٠٠٣ **(مركز دراسات شهيد المحراب، ٢٠٠٨)**.

<u>د. الدوافع الأمنية والاجتماعية: الرد على سياسة الرهائن وتجريف كرامة النخبة</u>

أدى المساس بالكرامة العسكرية والاجتماعية إلى ضرورة اتخاذ موقف حاسم تمثل في انشقاق مفاجئ أربك المؤسسة. **(صحيفة الشهادة ١٩٨٥)** أن مديرية الأمن العسكري فرضت رقابة صارمة وممنهجة على هؤلاء الضباط المشهود لهم بالكفاءة، متدخلة في أدق تفاصيل حياتهم الشخصية والمهنية. ذلك الجو الأمني الخانق، وتصاعد وتيرة التصفيات السرية لزملائهم تحت ذرائع واهية ـــمن بينها حيازة كتب دينيةـــ كان الدافع الرئيس وراء قرار الصافي بالانتقال نحو مناطق الأهوار كخيار احتجاجي وميداني ، في تلك الحقبة لم يكن خروج المقاتلين إلى الأهوار مجرد "هروب اضطراري" من بطش النظام، بل كان تحول كبير في مسار الصراع. فبدلاً من البقاء في المدن بانتظار لحظة الاعتقال منتظرين الموت بلا حيلة ، قرر هؤلاء الرجال تغيير موازين القوى ؛ فتحولوا من أشخاص مطاردين ومستهدفين إلى صنّاع قرار ومقاتلين في أزقة المدن إلى يمتلكون زمام المبادرة في طبيعة المستنقعات الصعبة. اذ كانت الجغرافيا هي الحليف الأول؛ فاختيار الأهوار لم يكن صدفة عابرة، بل كان قراراً عسكرياً ذكياً. فبينما كانت أجهزة النظام تائهة في هذه "البيئة المائية" الوعرة وتجهل تكتيكاتها، استثمرها المقاتلون كدرع طبيعي وحاضنة شعبية منيعة ، وبعيداً عن أعين الرقابة المشددة، بدأت عمليةاستعادة كرامة الضابط .

لم تعد تلك المساحات الجنوبية مجرد منافٍ نائية أو مناطق معزولة، بل تحولت بفعل التخطيط المنظم إلى مراكز حصينة للمقاومة والمفارقة هنا كانت في العقلية التي تدير المشهد؛ فلم يكن تمرداً عشوائياً، بل كان حراكاً يُدار بمنطق

الأركان الأكاديمية، اذ امتزجت خبرة الضباط بطبيعة الأرض، ليخلقوا واقعاً عسكرياً جديداً كسر هيبة النظام في المناطق التي كان النظام يظن أنه يسيطر عليها في الجنوب. (الحيدري، ٢٠٠٣؛ صحيفة الشهادة، ١٩٨٥).

المبحث الثاني: نوري جعفر الصافي (أبو لقاء) وهندسة النواة العسكرية الأولى(١٩٨٢ _ ١٩٨٥)

تمثل المرحلة التاريخية المحصورة بين ربيع عام ١٩٨٢ وخريف عام ١٩٨٤ التي وضع فيها الحجر الأساس ونقطة التحول الأبرز في تاريخ المعارضة العراقية المسلحة؛ إذ شهدت ما يصفه المؤرخون بداية العمل المتقن الذي انتقلت فيه المعارضة من الفعل الاحتجاجي العفوي إلى مرحلة القتال المدروس علمياً . لم يكن هذا التحول ليتحقق لولا وجود العقلية القيادية التي امتلكها نوري جعفر الصافي، والذي لم ينظر للأهوار كمجرد مخبأ للاحتماء من بطش السلطة ، بل تعامل معها باعتبارها ساحة قتال خاضعة لخطط عليا صارمة. أوجب هذا التحول على الصافي إيجاد توفيق دقيق وذكي بين الطاقات المتوفرة التي كانت تمتلك الخبرة وبين المقاتلين المتطوعين الذين لا يمتلكون اي معرفة عسكرية على الرغم من الإمكانات التسليحية البسيطة، محولاً إياها عبر التخطيط الحربي الذكي والمدروس إلى قوة قادرة على المواجهة والمنافسة استطاعت اشغال فيالق كاملة من جيش النظام العراقي **(الغرابي، ٢٠١٢).**

١.الدور التأسيسي لنوري جعفر (أبو لقاء الصافي) في فيلق بدر وعلاقته بالقيادة السياسية

يُعد أبو لقاء الصافي من الشخصيات المحورية والقادة الميدانيين الذين وضعوا اللبنات الأولى للعمل المسلح للمعارضة العراقية في منطقة الأهوار مطلع الثمانينيات. وقد ارتبط اسمه بشكل أساسي بتأسيس النواة الأولى لـ قوات الصدر، والتي تميزت في بداياتها بنوع من الاستقلال التنظيمي قبل أن يتم دمجها لاحقاً ضمن هيكلية فيلق بدر. إن الصافي كان من القيادات التي نجحت في تحويل طبيعة الأهوار الصعبة إلى قاعدة انطلاق لعمليات نوعية ضد النظام السابق. وساعده في ذلك فهمه العميق لطبيعة المنطقة الجغرافية، وقدرته العالية على التنسيق والربط بين المجموعات المسلحة في الداخل، مما جعل منه حلقة وصل حيوية في تلك المرحلة . أما فيما يخص العلاقة مع القيادة السياسية، فقد مثل الصافي حلقة الوصل الأكثر ثقة لدى السيد محمد باقر الحكيم. **عادل رؤوف (٢٠٠٢)**، اذ إن قوة فيلق بدر في بداياته قامت على أساس قادة من نوعية أبو لقاء الصافي، الذين استطاعوا الربط بين الأهداف الكبرى وظروف القتال القاسية في الاهوار والقرى الجنوبية. وقد تجلى هذا الدور في قدرته على استيعاب المتطوعين الجدد وتدريبهم، وتحويل التوجيهات الصادرة من المكتب العسكري للسيد الحكيم إلى خطط حربية ناجحة في مناطق هور الحويزة والقرنة.وعند التأسيس الرسمي لفيلق بدر عام ١٩٨٢، ساهم نوري جعفر في وضع هيكلية رسمية للمقاتلين وتجاوز مرحلة العمل الفردي نحو العمل المنظم. **مركز الشهيد الحكيم (٢٠٠٥)** أن نوري جعفر الصافي كان مسؤولا على محاور قتالية هامة، ولعب دوراً في التجهيز والإمداد فتح ممرات آمنة لعبور المقاتلين ، وهو ما وفر للفيلق استمرارية النشاط داخل العمق العراقي. إن ذلك التكامل بين التخطيط السياسي الذي قاده الحكيم والتنفيذ الميداني الذي قام به الصافي، كان هو السبب الرئيسي للنجاح في صياغة الهوية العسكرية لفيلق بدر خلال العقدين اللذين سبقا عام ٢٠٠٣.

أ: دراسة البيئة المائية وتخطيط مسرح العمليات

عندما استقر نوري جعفر الصافي (أبو لقاء) في مناطق الأهوار الوسطى عام ١٩٨٢، واجه طبيعة جغرافية متغيرة تفتقر لأبسط مقومات التنظيم العسكري جاسم، الغرابي (٢٠١٢)، بدأ الصافي فوراً بمرحلة بقراءة طبيعة الأرض بكامل تفاصيلها ؛ وهي عملية لم تكن تهدف للتعرف على المكان فحسب، بل للسيطرة عليه كلياً

قام الصافي بتحركات استكشافية متخفية مستخدماً بوصلة عسكرية وخرائط جغرافية كان قد استحصل عليها من أرشيف الكلية العسكرية قبل انشقاقه. ولم يكتفِ الصافي بالرصد السطحي، بل قام بعمليات قياس مدى عمق المياه وقياس سرعة التيارات في ممرات هور الحويزة، واصفاً إياها بالحواجز الدفاعية الطبيعية. اذ أدرك الصافي أن التفوق العسكري للنظام العراقي، المتمثل بطيران الجيش ومدفعيته الثقيلة، لا يمكن إيقاف مفعوله إلا بالتخفي التام داخل البيئة المحيطة. لذا، قام برسم أول "خريطة استخباراتية" للممرات المائية الوعرة مصنفاً إياها هندسياً إلى:

١.**ممرات الهجومية صامتة:** تمتاز بضيقها وكثافة غطائها النباتي لتجنب الرصد الجوي السمتي، وهي مسارات لا يعرفها إلا "الأدلاء" المقربون من القيادة.

٢. **ممرات المناورات السريعة:** مخصصة لزوارق "الطراد" السريعة المباغتة من خلف قطعات العدو، وقد تم تطهيرها من العوائق المائية (الزمازم) لضمان السرعة القصوى.

٣.**ممرات الامداد والانقاذ :** خطوط خلفية مؤمنة تسمح بنقل الجرحى وإيصال المؤن والعتاد بعيداً عن أعين الرصد، وتتصل بمناطق العمق السكاني لضمان الاستمرارية.

اذ أن الصافي ابتكر نظام مراكز قيادة منخفضة؛ وهي منشآت قتالية تُبنى من القصب والبردي المعالج بطريقة تشتت كشف المقر عبر الرصد الراداري ، وتوضع تحت مستوى رؤية الطيران السمتي . تلك المقرات لم تكن مجرد ملاجئ، بل صممها الصافي لتضم غرف عمليات محصنة و مستودعات أسلحة محمية من التلف بمواد تمنع وصول الرطوبة والملوحة للأجهزة اللاسلكية والأسلحة، مما حول جغرافيا المستنقعات من عائق طبيعي إلى سلاح استراتيجي جعل من هور الحويزة منطقة ضياع لجيش النظام يستنزف قدرات الفيلق الرابع الحكومي **(الأسدي، ٢٠٠١؛ الغرابي، ٢٠١٢)**.

ب: الكادر العسكري ومؤسسة التخطيط الأركاني

يُعد تأسيس الكادر العسكري في تشرين الأول ١٩٨٢ نقطة التحول الكبرى في تحويل المتطوعين من مجرد شباب متحمسين إلى كوادر قتالية احترافية . **محمد علي شبر (٢٠١٠)** أن الصافي وضع خطة تدريب حاسمة تمزج بين الإيمان الروحي وأصول العسكرية العراقية. فلم يكن الصافي يسمح بتكليف أي مقاتل بمهمة ميدانية ما لم يتقن دروس القتال الميداني (تكتيكات المواجهة المباشرة)، فضلا عن السباحة **حسين الطائي (٢٠١٧)** أن الصافي استخدم تقنيات الكلية العسكرية داخل الأهوار؛ فعمل على:

١. **جداول زمنية صارمة:** تبدأ بالتدريب البدني الفجري قبل شروق الشمس لرفع اللياقة في بيئة طينية مجهدة، مع دروس مسائية في تقدير الموقف.
٢. **التفتيش الدوري** التدقيق على نظافة الأسلحة من "طين الملوحة" وتزييتها بشكل مستمر لضمان عدم توقف السلاح عن العمل في لحظات الاشتباك الحرجة.
٣. **نظام المرابطة والخفارات:** تقسيم المقاتلين إلى نوبات حراسة مشددة بنظام عسكري محكم، مما ضمن تأمين المقرات من تسلل "فرسان الهور" (الأفواج الخفيفة التابعة للنظام).

لم يكتفِ الصافي بالقيادة الميدانية، بل وضع حجر الأساس لمنظومة اتصالات احترافية للمعارضة. اذ أشرف بنفسه على تدريب المقاتلين على أجهزة اللاسلكي التي تم اغتنامها (مثل أجهزة Raccal و PRC-77)، وابتكر أسلوباً ذكياً للتخاطر عبر استخدام شفرة لغوية مستمدة من لهجة أهل الأهوار. تلك اللغة المحلية المرتبطة ببيئة الصيد والحياة اليومية جعلت أجهزة التنصت التابعة للأمن العسكري عاجزة تماماً عن فهم التحركات الميدانية أو فك رموز التواصل بين المقاتلين فضلا عن التميز اللغوي، قدم الصافي حلولاً تقنية مبتكرة للتغلب على التحديات الطبيعية في البيئة المائية. فقد طور تكتيك الهوائيات المموهة، اذ كان يتم مد الأسلاك تحت سطح الماء أو إخفاؤها وسط القصب الكثيف. كان الهدف من ذلك منع الرادارات المعادية من رصد الهوائيات المعدنية الطويلة، وضمان استمرار البث دون انقطاع. كما استحدث نظاماً دقيقاً لتغيير الترددات بشكل يدوي ومجدول زمنياً، مما أحبط محاولات النظام للتشويش الإلكتروني وجعل اتصالات المقاتلين آمنة ومستقرة اذ خلق هوية عسكرية موحدة مهدت الطريق لتحويل هذه النواة إلى الهيكل القيادي لفيلق بدر لاحقاً **(شبر، ٢٠١٠؛ الطائي، ٢٠١٧)**. وتتجلى هذه القواعد العلمية بشكل ملموس في إحدى الوثائق البصرية النادرة للصافي، اذ ظهر وهو يشرف ميدانياً على طابور عرض عسكري وتدريبات بالزوارق في عمق الأهوار. ومن خلال التحليل السردي لهذه الوثيقة، نجد أن الصافي حافظ على (الانضباط السلوكي العسكري العراقي) ؛ فعلى الرغم من بيئة الهور الطينية، يظهر بهندام عسكري منضبط وبنبرة قيادية هادئة توحي بثقة شخصيته العسكرية وتوثق المادة في التوثيق الارشيفي **للصافي (ارشيف،1986)** كيفية تطويع الجغرافيا المائية عبر تدريبات المناورة بالمشاحيف، مما يؤكد انتقال 'العقل الأركاني' من قاعات الكلية العسكرية إلى المختبر الميداني للأهوار، محولاً الكتلة البشرية إلى وحدات تكتيكية تخضع لسياقات التدريب الصنفي.

ت: المنهجية الإدارية ونظام الإحصاء الحربي الموحد

كان التحدي الأبرز الذي واجهه الصافي هو كيفية تنظيم الأعداد الكبيرة من المقاتلين وتحويلهم من مجرد مجموعات متفرقة إلى قوة عسكرية منظمة ومنضبطة. ولتحقيق ذلك، استحدث الصافي نظاماً إدارياً دقيقاً اعتمد فيه على (سجل الأساس العام)؛ وهو وثيقة إدارية مبتكرة تمنح كل مقاتل رقماً إحصائياً سرياً وثابتاً. ذلك النظام لم يسهل فقط عملية متابعة المقاتلين وتقييم أدائهم، بل ضمن أيضاً ضبط حركتهم وتوزيعهم بدقة، بحيث يظل سجل المقاتل ثابتاً وواضحاً حتى وإن انتقل من قاطع عمليات إلى آخر **(الغرابي، ٢٠١٢، ص ١٧٢-١٧٥)** . ذلك الإجراء لم يكن تنظيمياً فحسب، بل كان أداة لفك الارتباط بين الولاء الشخصي والالتزام المؤسسي. فمن خلال البطاقة الشخصية المرمزة، تم ربط المقاتل بنظام الأرزاق والرواتب المركزي، وهو ما وصف لما يكون لبيروقراطية عسكرية في بيئة جغرافية مستحيلة. تضمن السجل تفاصيل تشمل: (الاسم الحركي، .التخصص الصنفي، فصيلة الدم، الكفاءة في استخدام

الأسلحة الساندة، والذمة المالية للمعدات). ذلك الضبط حوّل المقاتل من متطوع عاطفي إلى كادر وظيفي يخضع لـ قوائم صرف رسمية ، مما أدى إلى تجفيف منابع التسرب الفردي وتعزيز المناعة الأمنية ضد اختراقات الاستخبارات العسكرية للنظام العراقي، اذ أصبح كل فرد كوداً لا يمكن تجاوزه في السلسلة الإدارية.

ث: تنظيم الرتب والبناء الأركاني: استراتيجية الصافي في ضبط الهيكل القيادي.

واجه الصافي معضلة تتمثل في القيادة الأفقية المبنية على الوجاهة الاجتماعية، أو الأقدمية الجهادية، أو الانتماء العشائري. ولتجاوز هذا العائق، فرض نظام الرتب التكليفية المستوحى من التقاليد العسكرية الأكاديمية الصارمة. **مختار الأسدي (٢٠٠١، ص ١٨٢-١٨٤)**، تم صهر المقاتلين في قوالب (آمر فصيل، وآمر سرية، وآمر فوج) مع إلزامية التخاطب عبر "البريد العسكري المكتوب" والتقارير الدورية (المواقف اليومية). ان هذا التحول رصدته صحيفة **Libération** (Paris, January 15, 1987)، مؤكدةً أن الصافي نجح في بناء نواة جيش احترافي (Core of a professional army) يمتلك القدرة على تنفيذ عمليات متزامنة في قواطع متباعدة بانسجام تام. إن فرض هذه التراتبية أدى إلى تحويل المبادأة الفردية العشوائية إلى قرار مؤسسي مركزي يمر عبر قنوات فنية دقيقة؛ فلم يعد مسموحاً لآمر مجموعة أن يقرر الاشتباك أو الانسحاب بناءً على تقديره الشخصي، بل أصبح ملزماً ببروتوكول الأمر العملياتي الصادر من هيئة الركن في قاطع العمليات، مما رفع من كفاءة تنفيذ ساعة الصفر في العمليات الكبرى (مثل عمليات كربلاء وما بعدها).

ج: استراتيجية التدوير القتالي وصهر الهويات الجغرافية

تمثلت العبقرية التنظيمية للصافي في قدرته على تفكيك المناطقية التي كانت تربط المقاتل ببيئته الجغرافية (أبناء أهوار العمارة، أو أبناء أهوار الناصرية). طبق الصافي استراتيجية التدوير الدوري؛ اذ يتم دمج مقاتلين من خلفيات مدنية وعسكرية ومن محافظات متباينة (البصرة، الناصرية، العمارة، وبغداد) في وحدة قتالية واحدة، ثم نقلهم دورياً بين القواطع الميدانية **حسين الطائي (٢٠١٧)** إلا أن هذا الإجراء استهدف خلق ولاء مؤسساتي عابر للجغرافيا. **Jane's Defence Weekly** (London, Vol. 9, 1988)، إن ذلك الاندماج منح الفيلق مرونة استراتيجية (Strategic Flexibility) مكنته من تحريك ألوية كاملة بين محاور متباعدة (من هور الحويزة إلى شرق دجلة مثلاً) دون حدوث اهتزاز في الروح المعنوية أو الكفاءة القتالية، وهو ما يعد قفزة نوعية في تحويل المقاومة المحلية إلى قوة ضاربة وطنية تمتلك رؤية استراتيجية تتجاوز حدود الجغرافيا الضيقة للمستنقعات.

ح:هيكلة التعليم العسكري الميداني: استبدال العفوية القتالية بالكفاءة الصنفية في رؤية الصافي

انتقل التدريب في عهد الصافي من المهارة الفردية المبنية على الخبرة الشخصية إلى الاحتراف الصنفي المبني على المناهج الأكاديمية ، وتم افتتاح معسكرات تخصصية في عمق الأهوار (مثل معسكر الصدر ومعسكر فجر) طبقت مناهج مكثفة مقتبسة من سياقات الكلية العسكرية العراقية. تم إلغاء الاعتماد على الدلال المحلي (المعتمد على الفراسة العشائرية في سلوك الممرات المائية) واستبداله بـ دروس تضاريس الميدان العسكرية واستخدام البوصلة والخرائط والإحداثيات.اذ قُسم المقاتلون إلى أصناف تخصصية (صنف الهندسة القتالية، صنف المخابرة واللاسلكي، صنف الإسناد الناري)، ولا يُسمح للمقاتل بالالتحاق بالمهام القتالية إلا بعد نيل شهادة الكفاءة الصنفية واجتياز اختبارات الميدان. هذا التخصص حوّل الثائر من هاوٍ للسلاح إلى تقني عسكري يتقن لغة الحرب الحديثة وإدارة النيران المنسقة، مما رفع نسبة نجاح الكمائن الليلية وعمليات اقتحام السواتر الترابية المعقدة بنسبة كبيرة جداً.

خ: القضاء العسكري الميداني وسلطة الردع التنظيمي

لم يكتمل البناء المؤسسي إلا بوجود سلطة زجرية تضمن هيبة القانون العسكري داخل الوحدات القتالية. استحدث الصافي وحدة الضبط العام (التي قامت مقام الشرطة العسكرية) لتنفيذ "لوائح الجزاءات العسكرية" الصارمة التي صاغها لتنظيم السلوك اليومي والعملياتي. **حيدر الخفاجي (٢٠٢٠)** أن العقوبة انتقلت من التوبيخ الشفوي الأخوي إلى المحاكمة الميدانية الرسمية. شملت اللوائح عقوبات انضباطية تتناسب مع طبيعة البيئة المائية القاسية (الحجز الانضباطي، التجريد من الرتبة التكليفية، أو النقل القسري إلى سرايا العمل الشاق المكلفة بحفر السواتر ونقل المؤن تحت القصف المدفعي). ذلك النظام خلق الخوف في نفوس الأفراد، مما ضمن تماسك التشكيلات تحت وطأة هجمات المدفعية الثقيلة في معارك (شرق دجلة)؛ إذ بات المقاتل يدرك أن تجاوزه للسياق العسكري أو تراخيه في الواجب سيعرضه للمساءلة القانونية أمام محكمة الميدان، وهو ما يمثل قمة الوصول إلى الاحترافية الأركانية التي تضمن تماسك الجيش في أصعب الظروف الوجودية. **وترى الباحثه برؤى نقديّة** أن هذا الإغراق في 'العقلنة الإدارية' والضبط الرتبي الصارم داخل بيئة الأهوار، رغم أهميته التنظيمية، أفرز تداعيات على طبيعة المقاتل نفسه؛ فبينما

كان الهدف بناء مؤسسة محترفة، إلا أن تحويل الثائر العفوي إلى كادر وظيفي مقيد بسلاسل التراتبية قد حدَّ في مواقف معينة من مرونة المبادأة الفردية التي تتطلبها حرب الشوارع والمستنقعات، مما أوجد نوعاً من الصراع الصامت بين 'مثالية الأكاديمية' و'واقعية الميدان' المتمرد."

د: التنسيق العملياتي وتوحيد لغة الميدان (الاتصالات الحربية ومنظومة السيطرة المركزية)

مثّلت هندسة تنسيق العمليات التي وضع مرتكزاتها نوري جعفر الصافي (أبو لقاء) في منتصف الثمانينيات، المنعطف البنيوي الأبرز في تاريخ التحول من العفوية القتالية إلى المأسسة العسكرية الاحترافية؛ إذ كانت تلك المنظومة بمثابة العقل السيبراني الذي أتاح للمؤسسة العسكرية العمل ككتلة حيوية موحدة في بيئة جغرافية تُصنف عسكرياً وطبوغرافياً بأنها من أعقد مسارح العمليات في العالم. ففي تلك الحقبة، واجهت القوات في بيئة الأهوار تحدياً استراتيجياً مزدوجاً؛ تمثل الأول في سيولة الميدان وصعوبة الاتصال عبر الممرات المائية الملتوية وغابات القصب الكثيفة التي كانت تعمل كعوائق فيزيائية طبيعية تؤدي إلى تشتيت الموجات اللاسلكية وتخفيف حدة الإشارة (Signal Attenuation)، مما كان يتسبب في انقطاع التواصل بين المفارز المتقدمة وغرف القيادة. أما التحدي الثاني، فقد تمثل في التفوق التقني الهائل لمديرية الاستخبارات العسكرية التابعة للنظام العراقي، والتي كانت تمتلك في ذلك الوقت منظومات رصد إلكتروني وتصنت (SIGINT) من طرازات فرنسية وبريطانية متطورة قادرة على تحديد مواقع البث بدقة عبر نظام التثليث اللاسلكي ، ومن هنا انطلقت تحت إشرافه المباشر عملية إعادة هيكلة شاملة لصنف المخابرة، لم تكن مجرد عملية توزيع للأجهزة، بل كانت "تأسيساً فلسفياً" لنظام القيادة والسيطرة والاتصالات الذي يربط القمة بالقاعدة بآلية تقنية لا تقبل الاختراق أو الارتجال.

شملت هذه العملية التاريخية استيراد وتطوير منظومات لاسلكية متطورة تعمل وفق نطاقات (VHF/UHF) ذات ترددات عريضة المدى، صُممت خصيصاً بمواصفات تضمن استقرارها في ظروف الرطوبة القصوى المائية الغاطسة. ووضع الصافي بنفسه خارطة تدرج الصلاحيات الترددية الصارمة؛ اذ مُنحت قيادة الفيلق تردداً سيادياً معزولاً ومشفراً للربط مع غرف العمليات الكبرى وقواطع المسؤولية البعيدة، بينما خُصصت لآمري الأفواج والسرايا ترددات تكتيكية متقاطعة لضمان عدم حدوث "الاختناق الإشاري" (Signal Congestion) أثناء الهجمات الكبرى، وهو ما أتاح للقيادة السيطرة المركزية المطلقة على حركة العديد من الزوارق القتالية في مساحات شاسعة بانسجام تام **جاسم الغرابي (جامعة الكوفة، ٢٠١٢)**، واستحدث الصافي ورفاقه في تلك الفترة نظام قضى على استخدام الكنى أو الأسماء الحركية أو العبارات العفوية التي كانت تمثل ثغرة استخباراتية كبرى تتيح للعدو معرفة هوية الآمر أو رتبته أو حجم الوحدة المرتبطة به. واستُبدل ذلك بـ دليل الرموز الرقمية الموحد، وهو بروتوكول تاريخي كان يُلزم المخبرين باستخدام كودات دلالية مركبة تُعبر عن إحداثيات الموقع بدقة مجهرية، وحالة العتاد المتبقي، وتوقيتات الاشتباك، وإحصاءات الإخلاء الطبي، بكلمات مشفرة تتبدل دورياً وفق نظام الشفرات المتغيرة (Rolling Codes)، مما جعل من المستحيل على أجهزة التنصت وخوارزميات التفكيك التابعة للنظام العراقي فهم النوايا العملياتية للفيلق أو استباق تحركاته. **The Majalla (London, Issue 382, August 1987)**

أن تلك القوات استطاعت تحويل المقاتلين من مجرد ثوار جوالين إلى تقنيي إشارة محترفين يتقنون فنون الحرب الحديثة والتحرك المنضبط تحت أشد أنواع الضغط العسكري **Jane's Defence Weekly (London, Vol. 9, 1988)** ، ان القدرات التقنية للمعارضة في جنوب العراق، مشيرة إلى أن التشكيلات التي قادها الصافي نجحت في تطبيق تكتيكات الوثب الترددي اليدوي (Manual Frequency Hopping) والصمت اللاسلكي المبرمج. وبموجب هذا البروتوكول، كانت المحطات تُغير ترددتها وفق جداول زمنية مسبقة تُوزع يدوياً عبر البريد السري المحمول بالمشاحيف، مما جعل منظومات التشويش الراداري (Jamming) التابعة للجيش النظامي عديمة الجدوى وغير قادرة على تحديد نقطة البث أو اعتراض الرسائل العملياتية.

ولم يكتفِ الصافي بالتأمين الدفاعي للمنظومة، بل حول المخابرة إلى أداة هجوم استخباري شامل وتجسس إشاري (SIGINT)؛ **حسين الطائي (٢٠١٧)** اذ أن الصافي استحدث في تلك الفترة مفارز التنصت المتقدمة التي استطاعت اختراق شفرات ألوية المشاة والآليات النظامية التابعة للجيش العراقي، مما مكن القيادة من رسم خارطة لنوايا العدو لحظة بلحظة ومعرفة ساعة الصفر لهجمات النظام المضادة قبل وقوعها. ولضمان ديمومة هذا الضبط التقني تحت وطأة القصف الجوي الكثيف واستخدام الأسلحة الكيمياوية، أشرف الصافي على هندسة شبكة معقدة من المحطات الوسيطة (Relay Stations) المخفية والموهة بعناية فائقة داخل بيوت القصب المحصنة والموزعة في

"النقاط العمياء" التي لا تصلها الرادارات، والتي كانت تعمل بأنظمة طاقة كهرومغناطيسية بديلة (بطاريات شمسية ومولدات صامتة)، مما سمح بإدارة معارك تاريخية كبرى مثل معارك (شرق دجلة) و(كربلاء-٥) بأسلوب القيادة المزامنة (Synchronized Command)؛ حيث كانت الأوامر تصدر للقوارب الهجومية في السواتر المتقدمة متطابقة زمنياً مع إحداثيات القصف المدفعي وصواريخ الكاتيوشا الساندة في العمق **Libération (Paris, January 15, 1987)** ووصف بأنه قمة الاحتراف الأركاني الذي أذهل المراقبين العسكريين الغربيين وجعل من تلك القوة نداً تكنولوجياً وإدارياً يتفوق في أحيان كثيرة على الجيوش النظامية التقليدية في حرب المستنقعات، محققاً بذلك اختراقاً استراتيجياً في توازن القوى الميداني وثباتاً عملياتياً استمر لسنوات طويلة تحت أقسى الظروف. **يستوقف الباحثه** الاعتماد الكلي على مركزية الإشارة والتقنيات اللاسلكية؛ فمن الناحية النقدية، إن ربط مصير التحركات الميدانية بسلامة الشبكة التقنية جعل القوات في حالة ارتهان تكنولوجي. وذلك يعني أن أي اختراق ناجح من قبل استخبارات النظام للترددات السيادية كان كفيلاً بإحداث شلل عملياتي كامل، مما يكشف عن خطورة المبالغة في تحديث أدوات المواجهة في بيئة قاسية تفتقر للبدائل التقليدية البديلة.

ذ: الإدامة القتالية وتحصين قواعد التموين في مسرح عمليات الجنوب: العقل التنظيمي لنوري جعفر الصافي وأثره في ديمومة المواجهة

لم تكن استراتيجية الإدامة القتالية في مسرح عمليات الأهوار مجرد وظيفة إدارية ثانوية أو إجراءً لوجستياً عابراً، بل كانت في العقيدة العسكرية التي صاغها نوري جعفر الصافي (أبو لقاء) بمثابة الضامن الوجودي والعامود الاساسي لاستمرارية الفعل المسلح ضد نظام يمتلك تفوقاً كاسحاً في القوة النارية والغطاء الجوي والاستطلاع التقني. وبناءً على ما ثبت في المعطيات الميدانية، واجترح الصافي نظرية عبقرية إدارية قامت على فلسفة تحويل بيئة الأهوار من عوائق جغرافية إلى مخازن استراتيجية . أدرك الصافي بحسه الأكاديمي وخبرته في صنف القوات الخاصة أن المخازن المركزية والثابتة هي أهداف رخوة وسهلة المنال أمام المسح الجوي، فاستبدلها بنظام تنظيمي يقوم على توزيع السلاح والعتاد والمؤن على آلاف النقاط المتناهية الصغر والمخفية في جوف الماء (Water Depots). تلك الحاويات التي صُممت بإشرافه المباشر، لم تكن مجرد صناديق للحفظ، بل كانت "وحدات تقنية" معزولة كيميائياً ضد الرطوبة والأكسدة وضغط الماء، مما سمح بحماية الذخائر والمتفجرات الحساسة من التحلل الفيزيائي، وضمن للقوات الحفاظ على ديمومة نارية لا تنقطع حتى في ذروة عمليات الحصار والإطباق العسكري **جاسم الغرابي (٢٠١٢)** اذ تحول الإمداد من عبء يعيق حركة الفصائل إلى ميزة استراتيجية تمنح المقاتل مرونة الانقضاض من أي نقطة مائية دون الحاجة لخطوط إمداد تقليدية مكشوفة.

وظف الصافي معرفته بتضاريس القصب والبردي لرسم خارطة طريق مائية موازية للطرق الرسمية، تُستخدم كشرايين حيوية للتموين الليلي الصامت بعيداً عن مجسات النظام ورادراته، مما أوجد حالة من الاستعصاء الاستخباري لدى الأجهزة الأمنية التي عجزت عن رصد مصادر الزخم القتالي المستمر للمعارضة. **المؤمن (٢٠٠٤)**، فإن الصافي نجح في نقل العقل الأركاني وتطبيقه في بيئة غير نظامية، محولاً المعارضة من العمل العشوائي إلى مؤسسة عسكرية تمتلك دورة إمداد مغلقة ومؤمنة بالكامل. ولم يتوقف ذلك الأثر عند حدود التخزين المائي، بل تجلى في أقصى صور التحدي إبان سياسة الإبادة البيئية عبر تجفيف الأهوار في التسعينيات؛ إذ أثبتت شبكة التموين التي أرساها الصافي مرونة فائقة في الانتقال من التخزين المائي إلى نظام المخازن الأرضية المموهة في المناطق الطينية والجافة، مما حال دون وقوع كوارث إمداديه كانت كفيلة بإنهاء المقاومة. إن الوعي اللوجستيكي المبكر هو ما يفسر صمود "فيلق بدر" تحت قيادته الميدانية رغم انقطاع طرق الإمداد الخارجية **مركز دراسات شهيد المحراب (٢٠٠٨)** اذ ان أبو لقاء كان يدير الكفاح لأجل البقاء ، موازناً بين شح الموارد وضرورات المواجهة، ومبتكراً أساليب للتمويه الحراري والبصري للقواعد التموينية، مما أبقى على الجاهزية القتالية في أعلى مستوياتها. وبذلك، تمازج في سيرة الصافي احترافية المخطط مع صلابة المنفذ، ليقدم نموذجاً في علم الإدارة العسكرية تحت الضغط، أثبت فيه أن السيادة على مسرح العمليات تبدأ من السيادة على خطوط الإمداد، وأن العلم الأكاديمي هو السلاح الأكثر فتكاً حين يُوظف في هندسة البقاء الوطني.

ر: إرساء عقيدة الصافي في تطوير المعدات الحربية

حدث تحولاً بنيوياً في بنية المؤسسة العسكرية تحت إشراف الصافي، تمثل في تأسيس صنف المعدات والميكانيك. لم يكن هذا الصنف تقليدياً، بل كان مختبراً حربياً متنقلاً؛ إذ أشرف الصافي على إنشاء ورش ميكانيكية عائمة مبنية فوق منصات معدنية ثقيلة وموهة بغطاء كثيف من القصب الطبيعي والصناعي. **جاسم الغرابي (جامعة الكوفة، ٢٠١٢)**،

انتقل الصافي بهذه الورش إلى مرحلة التصنيع الحربي الميداني؛ اذ نجح في ابتكار دروع خشبية مدمجة للزوارق، مصممة بطريقة هندسية تشتت شظايا القذائف وتحمي المقاتلين. كما ابتكر قواعد تثبيت مرنة للسلاح وُضعت على (المشاحيف)، سمحت بإطلاق صواريخ (الـ ١٠٧ ملم) والرشاشات الثقيلة (الدوشكا) بثبات عالٍ؛ اذ كانت تلك القواعد تمتص قوة الارتداد التي كانت سابقاً تؤدي لاهتزاز أو انقلاب القوارب الصغيرة. ذلك التطوير حوّل المشاحيف البسيطة إلى 'وحدات مدفعية مائية سريعة' تضرب بقوة وتختفي بذكاء في المناطق الضحلة (قليلة العمق) التي لا تستطيع الدبابات أو السفن الكبيرة دخولها. وبذلك، حقق الصافي تفوقاً ميدانياً في حرب الاستنزاف، مستخدماً السرعة والمناورة بدلاً من ضخامة السلاح(**Jane's Defence Weekly (London, Vol. 9, 1988**

تجلت عبقرية الصافي في جغرافية الأهوار؛ اذ أشرف على تنفيذ مشروع الممرات المضللة . **حسين الطائي (جامعة بغداد، ٢٠١٧).** اذ كانت فكرة المشروع تعتمد على حفر ممرات مائية مكشوفة للطيران لتكون فخاً يمتص قصف النظام، بينما تسلك قوافل الإمداد الحقيقية ممرات الستر الأخضر؛ وهي طرق ضيقة مخفية تحت نباتات عائمة تُفتح وتُغلق يدوياً بتوقيتات دقيقة. لم يقتصر هذا النظام على السلاح فقط، بل شمل تأمين الغذاء؛ إذ كانت الوجبات تصل للمقاتلين في أبعد النقاط عبر قوارب الأرزاق التي تتحرك بسرية تامة، مما جعل المقاتل متفرغاً تماماً للمواجهة دون القلق على مؤونته. ذلك التنظيم المذهل هو ما أبقى المقاومة صامدة رغم محاولات الحصار، ليثبت الصافي نجاحه في إدارة اقتصاد حربي مائي متكامل، محولاً نقص الإمكانيات إلى قوة ميدانية

٢: العبقرية التكتيكية في حرب الاستنزاف وواقعة الكيادي (١٩٨٣)

تمثلت عبقرية الصافي في قدرته الفائقة على إدارة الحروب غير المتكافئة وتبرز واقعة الكيادي الكبرى في صيف ١٩٨٣ كدراسة حالة في التكتيك المائي؛ اذ حاولت قوة من مغاوير الفيلق الرابع مدعومة بزوارق مدرعة القيام بعملية للقضاء على المقاومة للقواطع الوسطى. فطبق الصافي ورفاقه تكتيك كمين يعتمد على توزيع القوة في الممرات المائية ؛ اذ وزع رماة (RPG-7 ورشاشات BKC) في قواعد عائمة مخفية تماماً داخل غابات البردي. اذ استخدم الصافي قوة استدراج صغيرة لإيهام العدو بالانسحاب وجره إلى عمق ممر مائي ضيق (كيادة) ممر ضيق يحشر الزوارق .**مجلة (رسالة العراق العدد ٦١، ١٩٨٤)**، أدار الصافي المعركة بهدوء القادة الكبار ، موجهاً الضربات نحو زوارق القيادة أولاً لإحداث حالة من الفوضى الشاملة (Command and Control Breakdown). أسفرت الواقعة عن تدمير ١١ زورقاً نظامياً واغتنام أسلحة ومعدات إشارة متطورة (نوع سيكال) وأسر عدد من الجنود والضباط. أن هذه الواقعة كانت برهاناً على القوة رسخت سمعة الصافي كمخطط الحروب المائية البارع وصانع لجيل عسكري لا يهاب التفوق التقني للنظام، بل يحوله إلى ثقل وعبء عليه **(الخفاجي، ٢٠٢٠؛ مجلة رسالة العراق، ١٩٨٤).**

٣: منظومة الرصد وجمع المعلومات

فرغ الصافي من تشييد جهاز جمع المعلومات الميدانية كضرورة وجودية بحلول عام ١٩٨٤، لحماية المقرات من الغارات الجوية الدقيقة. وبناءً على المنهج الوصفي التحليلي، نجد أن الصافي بنى شبكة معلوماتية متنوعة تعتمد على الجواسيس والوسطاء والرصد التقني (SIGINT):

١.جند الصافي صيادين محليين ومنشقين جدد ممن يمتلكون أقارب في وحدات الجيش، وأقام اتصالاً مع مجموعات سرية داخل وحدات الجيش النظامي، مما سمح له بالحصول على خرائط حقول الألغام المائية المحيطة بحقل مجنون والبيضة قبل تنفيذ أي عملية، وهو ما قلل الخسائر البشرية بنسبة كبيرة.

٢. كان الصافي يراقب ترددات المطارات العسكرية في البصرة والناصرية (مطار الوحدة ومطار الإمام علي)، ويتنبأ بمواعيد الهجمات الجوية عبر رصد إشارات انطلاق الطائرات من المطارات. كما كان يحلل كميات المؤن والعتاد الواصلة لمقرات النظام في (الكسارة) و(قلعة صالح)؛ فإذا زادت، استنتج وجود نية لهجوم وشيك وقام إعادة توزيع جنوده قبل وقوع الهجوم.

٣.فرض الصافي انضباطاً صارماً في استخدام أجهزة الاتصال، محولاً إياها من وسيلة للتواصل العفوي إلى أدوات قتالية دقيقة، مما جعل بصمة النواة العسكرية شبه منعدمة أمام أجهزة التنصت الاستخباراتية المتطورة للنظام.

ذلك التفوق المعلوماتي أضفى على تحركات الصافي طابع العمليات النوعية عالية الدقة اذ كانت الضربات تستهدف مخازن العتاد ومقرات القيادة بدقة مذهلة دون إهدار للذخيرة. أن وجود الصافي في الأهوار مثل خنجراً وتهديدا خطيرا أربك حسابات القيادة العامة في بغداد، اذ أصبحت تحركات الجيش مكشوفة تماماً أمام "النظرة العسكرية " للصافي، مما مهد الطريق لإعلان قوة عسكرية ضاربة غيرت موازين القوى في جنوب العراق ودفعت النظام نحو

استراتيجية "تجفيف الأهوار" كحل أخير وميؤوس منه لمواجهة هذه الهندسة العسكرية المتفوقة **(صحيفة الشهادة، ١٩٨٥)**.

٤: واقعة معارك شرق دجلة وتكتيك المثلثات النارية المتقاطعة

تمثل معارك شرق دجلة (١٩٨٤-١٩٨٥) محطة مفصلية في تاريخ المواجهة المسلحة جنوب العراق، اذ كانت المنطقة تمثل تحدياً جغرافياً معقداً؛ فهي أرض مفتوحة تفتقر للغطاء النباتي الكثيف مقارنة بعمق الأهوار، مما جعلها تحت السيطرة النارية المباشرة لمدفعية الفيلق الرابع وطيران الجيش التابع للنظام. لم يكن دور العقيد نوري جعفر الصافي (أبو لقاء) مجرد قائد ميداني، بل كان المنظر العسكري الذي أعاد صياغة المواجهة بما يتلاءم مع طبيعة الأرض، مبتكراً تكتيك المثلثات النارية المتقاطعة لكسر التفوق التقليدي للقوات النظامية. بحكم خلفيته أدرك الصافي أن جيش النظام يعتمد المفاجأة والترويع عبر الأرتال المدرعة التي تتقدم ببطء تحت غطاء مدفعي كثيف. لذا، صمم خطة دفاعية هجومية في آن واحد اذ قام بتوزيع المقاتلين على شكل مجموعات صغيرة (خلايا ثلاثية) مخفية بعناية فائقة في حفر برميلية ونقاط رصد منخفضة لا تكتشفها أجهزة الاستطلاع. تلك النقاط كانت تتوزع جغرافياً لتشكل زوايا مثلثات وهمية تحيط بالمسارات التي تضطر القطعات العسكرية لسلكها. عندما كانت الأرتال المدرعة لجيش النظام تبدأ بالتوغل في عمق منطقة شرق دجلة، كانت أوامر الصافي تقتضي "الصمت الناري المطبق" حتى وصول الرتل إلى نقطة المركز (قلب المثلث). وفي تلك اللحظة، تبدأ النيران بالانفجار من ثلاث جهات متباعدة في وقت واحد. ذلك التكتيك لم يكن يهدف للمواجهة المباشرة فقط، بل لإحداث الشلل التكتيكي؛ فآمر الرتل النظامي يجد نفسه أمام كثافة نارية متقاطعة تجعله يعتقد أنه وقع في حصار من قوة عسكرية ضخمة، مما يفقده القدرة على توجيه الدبابات نحو مصدر نيران محدد، لأن قذائف (RPG-7)كانت تنهال عليهم من زوايا ميتة لا تستطيع أبراج الدبابات الدوران نحوها بالسرعة الكافية. **مختار الأسدي (٢٠٠١، ص ٣٦٢-٣٨٠)**

نجح الصافي من خلال ذلك التكتيك في تحويل جبهة شرق دجلة إلى استنزاف يومي لآليات النظام. فقد أثبتت الواقعة أن هندسة المكان تتفوق على كثافة النيران؛ أدت تلك المثلثات المتقاطعة إلى تدمير العشرات من ناقلات الأشخاص والدبابات، مما أجبر القيادة العسكرية للنظام على إصدار أوامر بالانسحاب من المناطق المفتوحة والاكتفاء بالمرابطة خلف السواتر الترابية البعيدة كان دور (أبو لقاء) في هذه المعارك يتجاوز إدارة النيران؛ فقد كان يشرف بنفسه على تحديد زوايا الرمي لكل مفرزة باستخدام خرائط طبوغرافية دقيقة، وموجهاً المقاتلين بضرورة التسلل الصامت بعد تنفيذ الضربة لإيهام القوات النظامية بأن الأرض خالية. ذلك الأسلوب أدى تاريخياً إلى نشوء حالة من الإرباك الميداني لدى جنود النظام عند التقدم في تلك القواطع، وهو ما سمح للمعارضة بتثبيت نقاط ارتكاز استراتيجية ظلت صامدة لسنوات، وأثبتت أن عقل الركن حين يمتزج بإرادة المقاتل، يستطيع كسر أعتى التشكيلات العسكرية النظامية. **صحيفة الشهادة. (١٩٨٥). البرزنجي، فوزي. (٢٠١٤)**

تظل معارك شرق دجلة شاهداً على عبقرية الصافي الذي لم يستخدم السلاح كأداة للمواجهة فحسب، بل كأداة هندسية صاغ بها انتصاراً معنوياً وميدانياً، فرض من خلاله واقعاً عسكرياً جديداً عجزت القوات النظامية عن اختراقه طيلة سنوات الصراع في تلك الجبهة

المبحث الثالث: عقيدة أبو لقاء بين الثورة والدولة: مسيرة المواجهة الميدانية والرحيل في ذروة العطاء (١٩٨٧-٢٠٠٣)

تمثل المدة المحصورة بين عامي ١٩٨٧ و٢٠٠٣ المرحلة الذهبية لتراكم الخبرات في تاريخ المعارضة العراقية المسلحة؛ وهي المرحلة التي شهدت نضوج الذهنية الأركانية التي وضع بذرتها نوري جعفر الصافي (أبو لقاء)، حيث تحول الفعل الميداني تحت إشرافه من مجرد اجتهادات ثورية عفوية أو ردود أفعال عاطفية، إلى سياق عمل مؤسساتي شامل يضاهي في تراتبيته الجيوش الاحترافية. لم يكن هذا الانتقال الاستراتيجي مجرد رغبة في التوسع العددي، بل كان استجابة حتمية لضغوط الميدان ومتغيرات الجبهات **الحيدري، إبراهيم. (٢٠٠٣)**؛ إذ أدرك الصافي بوعيه الاستراتيجي المبكر أن تكتيكات "الكمائن المنفردة" التي سادت في مطلع الثمانينيات قد استنفدت أغراضها أمام آلة النظام العسكرية التي بلغت ذروة قوتها التقنية والتعبوية في تلك الحقبة، مدعومة بخبرة قتالية مكتسبة من طول أمد الحرب (الأسدي، ٢٠٠١). ومن هنا، فرضت المعطيات الواقعية صياغة مفهوم عسكري جديد يقوم على الانتقال من قوة مرتبطة بالبيئة المائية إلى قوة مناورة استراتيجية (Maneuver Force) قادرة على اختراق السهول الرسوبية وتهديد حواف المدن الكبرى ومراكز الثقل الإداري للنظام في البصرة وميسان وذي قار (الغرابي،

٢٠١٢). هذا التحول أوجب إعادة هندسة "الإنسان المقاتل" بنيوياً ونفسياً، وصهره في بوتقة عسكرية ذات هوية مؤسسية واحدة تمتلك سياقات الآمر والمأمور

فبينما كان النظام ينتهج سياسة تجفيف الأهوار لتعرية المقاومة وسحق حواضنها الشعبية والتي سنستعرضها خلال المبحث ، كان الصافي يدير استراتيجية الصمود التنظيمي والمقاومة . اذ استطاع بعبقريته تحويل الجفاف من أداة كسر للإرادة إلى دافع لابتكار تكتيكات الكمين الترابي والخنادق المخفية، مؤمناً بأن بقاء التنظيم حياً وسط الأرض المحروقة هو بحد ذاته هزيمة استراتيجية لمشاريع السلطة (الطائي، ٢٠١٧). إن تلك المرونة في تبديل الأدوار هي التي جعلت منه رقماً صعباً ؛ إذ لم يكن الصافي ينظر للميدان كساحة حرب استنزاف فحسب، بل كمنصة لبناء شرعية وطنية تمتلك الحق والقدرة على ملء الفراغ السيادي في لحظة الانهيار المتوقع. ومع اقتراب أحداث عام ٢٠٠٣، وما حملته من تغييرات كبرى، برز نضج الصافي بشكل لافت في قدرته على التحول من قائد في المعارضة إلى رجل دولة يمتلك رؤية بعيدة المدى. اذ وضع ما عُرف بـ خطة حماية المفاصل الحيوية والتي لم تكن تهدف إلى فرض السيطرة أو كسب النفوذ، بقدر ما كانت تهدف إلى حماية مقدرات العراق من الضياع في لحظة غياب السلطة. حيث أصدر أوامره المباشرة للمجموعات التابعة له بالانتشار الفوري لحماية محطات المياه، ومخازن الغذاء، وحقول النفط الكبرى في الرميلة ومجنون؛ إيماناً منه بأن السلاح الذي حُمل يوماً لمواجهة الظلم، هو ذاته السلاح الذي يجب أن يحمي أرزاق الناس ويمنع الفوضى والنهب. أثبت الصافي في تلك اللحظة الحرجة أن العقيدة العسكرية الحقيقية هي التي تنحاز للأرض والشعب لا للأنظمة، فنجح في ملء الفراغ الأمني بحكمة، موجهاً البوصلة نحو الاستقرار الاجتماعي وحماية أصول الدولة التي هي ملك للأجيال، وليس لفئة دون غيره

إن الصافي أرسى قواعد الهندسة القتالية التكيفية اذ تم تحويل المشحوف التقليدي من وسيلة نقل مدنية إلى طراد حربي يحمل قوة مباغتة. ذلك التحول عكس قدرة الصافي على إيجاد حلول تقنية (كما أسلفتِ في المبحث الثاني) لخدمة أهداف استراتيجية كبرى، وهي جعل العدو في حالة استنفار دائم وضياع تكتيكي وسط المتاهات المائية ، تجاوز الفعل العسكري في عهد الصافي فكرة المعارك المحدودة، لينتقل إلى مفهوم الحرب الشاملة ذات النفس الطويل. اذ ركزت الاستراتيجية في الثمانينات على كسر الزحف النظامي في معارك شرق دجلة والحصاد، محطمةً أسطورة الفيالق المدرعة **الأسدي، مختار. (٢٠٠١)**. أما في التسعينيات، وبعد انتفاضة عام ١٩٩١ وعمليات التجفيف القسري، انتقلت العقيدة تحت إشرافه إلى الأمن العسكري الوقائي والحفاظ على بؤر المقاومة حية رغم سياسة الأرض المحروقة. أن تلك المرونة في تبديل التكتيكات (من الهجوم الجبهي إلى الكمين النوعي ثم إلى الصمود التنظيمي) هي التي حافظت على ديمومة القضية حتى لحظة التغيير الكبرى في عام ٢٠٠٣.سياسياً كان الصافي يهدف من خلال كل عملية عسكرية إلى خلق واقع سيادي بديل. فإفشال عمليات النظام في هور الحويزة أو هور الحمار لم يكن نصراً عسكرياً فحسب، بل كان إثباتاً سياسياً لمجتمع جنوب العراق وللمجتمع الدولي بأن هناك سلطة ميدانية تمتلك القدرة على الإدارة والتحكم والإدامة. إن "نظام الصافي" الأمني والعسكري خلق حالة من الردع النفسي لدى ضباط وجنود النظام، الذين باتوا ينظرون إلى الأهوار بوصفها "مقبرة للآليات"، مما أضعف الروح القتالية للقوات النظامية وعزز من شرعية الوجود الميداني للمعارضة.

يمثل المبحث النتاج الحقيقي لمسيرة الصافي ؛ الرجل الذي أثبت بالارقام والنتائج الميدانية أن العقل التخطيطي (الذي أسس له في المبحث الثاني) هو الذي يصنع النصر الميداني ويحمي القرار السياسي من الانهيار، وصولاً إلى خاتمة حياته التي تزامنت مع سقوط المنظومة التي قضى عمره في مواجهتها.

١:المقاومة العكسية وكسر زخم الزحف العسكري المخطط (١٩٨٦-١٩٨٧)

تجاوزت استراتيجية نوري جعفر الصافي في مواجهة حرب السواتر الأطر الدفاعية التقليدية، لتنتقل إلى شل الجهد التخطيطي . فمع شروع النظام العراقي في تشييد منشآت هيدروليكية وسواتر ترابية ضخمة (طريق جاسم، ساتر العز) خنق الممرات المائية في الأهوار وتحويلها إلى مسارح صالحة لمرور الدروع، استحدث الصافي ورفاقه منظومة ضرب المشاريع في مهدها **(الغرابي، ٢٠١٢)**. استندت هذه المنظومة إلى استغلال الاماكن الانشائية الهشة في السواتر حديثة التكوين، اذ تم تشكيل مفارز تخصصية من ميدانية أُنيطت بها مهمة الرصد الفني لمواضع الضعف في نقاط ارتكاز السواتر . اذ أعتمد التكتيك الميداني للصافي على استخدام متفجرات ذات قدرة تدميرية عالية وألغام بحرية طُوّرت محلياً لتلائم طبيعة التربة الرخوة والضغط المائي، اذ كانت تلك المفارز تتسلل تحت الاختفاء الطبيعي وسط النباتات للقصب والبردي لزرع الشحنات في الركائز الأساسية للسواتر **(مركز دراسات شهيد المحراب، ٢٠٠٨)**. لم يكن الهدف مجرد التدمير المادي، بل إحداث تدمير شامل ومفاجئ لحظة مرور الأرتال المدرعة التابعة

للفيلق الرابع؛ مما أدى تاريخياً إلى غرق آليات ثقيلة وشلل تام في الجهد الهندسي العسكري للنظام في ليلة واحدة . إن ذلك النمط من المقاومة نجح في الحفاظ على الطابع المائي للأهوار كحصن طبيعي، تحولت الخبرة الأكاديمية للصافي إلى أداة لفرض العجز عن التقدم ، مما أجبر القوات النظامية على الانكفاء الدفاعي **(الغرابي، ٢٠١٢؛ المؤمن، ٢٠٠٤)**.

٢:دور العقيد نوري جعفر الصافي في جبهة حلبجة (١٩٨٨)

لم تكن ليلة الخامس عشر من آذار عام ١٩٨٨ مجرد تاريخ عابر في سجلات الحرب العراقية الإيرانية، بل كانت منعطفاً استراتيجياً حاداً تجلى في عملية الفجر ١٠. فبعد سنوات من الاستنزاف في جبهات الجنوب الرطبة، نقلت القيادة الإيرانية ثقل المعركة نحو القمم الوعرة في كردستان العراق تحت رمز يا رسول الله، مستهدفةً اختراق العمق اللوجستي عبر محافظة السليمانية، والوصول إلى سد دربنديخان الاستراتيجي لخنق عصب الطاقة والمياه في البلاد.
وسط ذلك الغليان العسكري، برز دور العقيد نوري جعفر الصافي (أبو لقاء)، الذي لم يكن وجوده في القاطع الشمالي مجرد التزام بالواجب، بل كان تطبيقاً لاستراتيجية تعدد الجبهات التي انتهجتها المعارضة لإنهاك آلة النظام العسكرية. ونظراً لخلفيته الأكاديمية الرصينة كضابط ركن، أُنيطت به المهمة الأكثر تعقيداً في تلك التضاريس: "آمرية المخابرة في جبهة حلبجة".
كان التحدي الذي واجهه الصافي يتجاوز لغة السلاح؛ فالتضاريس الجبلية الحادة كانت بمثابة حائط صد أمام الموجات اللاسلكية، وهنا تجلت عبقريته الميدانية في نقطتين جوهريتين:

١. نجح في تشييد شبكة اتصالات سيادية تعتمد على "نقاط الوثب الجبلية" لتجاوز العوائق الطبيعية.
٢. في خطوة ذكية لتضليل أجهزة التنصت الاستخباراتية، ابتكر نظام تشفير يعتمد على مصطلحات محلية ولهجات شعبية، مما منح قوات المعارضة تفوقاً في سرعة المناورة وسرية التحرك.

إلا أن هذا التقدم الميداني سُرعان ما اصطدم بأحد أبشع فصول الحرب؛ ففي صبيحة السادس عشر من آذار، وبعد سقوط حلبجة، جاء الرد عبر القصف الكيماوية للمدينة. وفي تلك اللحظة الفارقة بين الموت والحياة، لم يختبئ الصافي خلف رتبته، بل تجلت مبادئه العسكرية في أسمى صورها؛ فرغم انتشار الغازات السامة وتهاوي الخطوط الدفاعية، رفض مغادرة نقطة الإشارة المركزية. استمر (أبو لقاء) في إدارة دفة الاتصال وسط القصف، محولاً جهازه اللاسلكي إلى بوصلة نجاة ترشد المقاتلين والعوائل المنكوبة نحو الممرات الآمنة. الثبات الأسطوري في قلب الكارثة لم يكن مجرد صمود عسكري، بل كان فعلاً إنسانياً (مكتب الإعلام المركزي، ١٩٩٨، ص ١٤٢).
اصيب الصافي في حلبجة ونُقل لتلقي العلاج المكثف الى مستشفى في طهران ، ليعود برؤية عسكرية جديدة نضجت وسط نيران الجبال. اذ أدرك الصافي أن التنظيم العسكري الصارم هو الوحيد القادر على مواجهة التفوق النيراني للنظام. لذا، عندما عاد إلى قاطع الأهوار بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩١، شرع فوراً في تطبيق منهجية ادارية قامت على تحويل الأهوار من ملاذات عفوية للمطاردين إلى قاعدة عسكرية صلبة ومنظمة إدارياً وفنياً. وبهذا البناء المتين، تحولت الأهوار إلى المركز القيادي الذي استعد تماماً عام ١٩٩١لاحتضان وقيادة أحداث الانتفاضة الشعبانية **(رؤوف عادل، ٢٠٠٠، ص ١٨٤)**

٣:التحليل التاريخي والعملياتي لدور العقيد نوري الصافي في الانتفاضة الشعبانية

رأى العقيد نوري جعفر الصافي أن قرار دخول الجيش العراقي للكويت في آب ١٩٩٠ لم يكن إلا مغامرة متسرعة وغير محسوبة النتائج، استُدرجت إليها المؤسسة العسكرية العراقية لتدمير قدراتها التي استُنزفت في حرب الثمان سنوات. اعتبر الصافي أن مواجهة التحالف الدولي في أرض مكشوفة هو انتحار تقني؛ نظراً للفجوة الهائلة بين قوات التحالف وبين القطعات البرية العراقية. ومع بدء العمليات الجوية في كانون الثاني ١٩٩١، بدأت تلك الرؤية تتحقق واقعاً؛ إذ واجهت القطعات العسكرية العراقية حالة من العزل المعلوماتي التام نتيجة قصف المركز الذي استهدف مراكز الاتصال **(صحيفة الجهاد، طهران، العدد ٤٥٢، تشرين الأول ١٩٩٠)**. وخلال تلك المدة ، رصدت التقارير والمدونات العسكرية التي كان الصافي يشرف على تحليلها تحول وحدات الجيش من قوة منظمة إلى وحدات معزولة ومشتتة في الصحراء، ينهشها الجوع وفقدان التوجيه نتيجة انقطاع سبل الإمداد وتدمير الجسور. وعليه، لم يكن الانسحاب العراقي من الكويت في ٢٦ شباط ١٩٩١ خياراً عسكرياً منظماً، بل فرضته ظروف القوة القسرية الناتجة عن القصف الجوي والبري الكثيف لقوات التحالف الدولي **(رؤوف.عادل ، ٢٠٠٠، ص ٢١٠)**. انعكس ذلك التشتت العسكري للجيش النظامي على شكل فوضى عارمة أثناء الانسحاب، اذ تسبب الاستهداف الجوي المركز في

استنزاف الروح المعنوية للمقاتلين الذين وجدوا أنفسهم بلا غطاء أو توجيه، مما جعل وصول تلك القطعات إلى البصرة في حالة من الصدمة والانكسار بمثابة الشرارة التي فجرت في ١ آذار ١٩٩١غضب الشارع **(الأسدي. مختار، ٢٠٠١، ص ٣٦٢)**.

برز الدور التنظيمي الميداني لنوري جعفر الصافي، مستنداً إلى رصيده القيادي وخبرته العسكرية المتراكمة وفي ظل التصدع القيادي ؛ إذ سخر إمكانياته المهنية لاحتواء التداعيات الفنية لتدمير شبكات الاتصال الرسمية. فبينما كانت المعدات العسكرية مبعثرة بفعل فوضى الانسحاب، استثمر الصافي موقعه الميداني للإشراف على عمليات تجميع أجهزة اللاسلكي من المقرات الأمنية والعسكرية المنهارة ومخلفات الجيش المنسحب قبل تعرضها للتلف أو النهب، وأشرف على عملية إعادة برمجة ترددات أجهزة (PRC-77) ، وأَمَر بتوحيد ترددتها، محولاً تلك الإمكانيات الفنية إلى نواة تقنية أتاحت للتحرك الشعبي امتلاك وسيلة اتصال سيادية لربط المواقع المشتتة **(مكتب الإعلام المركزي، ١٩٩٨، المجلد ١، ص ١٤٢)**. أن انتفاضة المدن واجهت خيارات أمنية قاسية خلال شهري آذار ونيسان ١٩٩١ رغم الزخم الجماهيري الواسع إذ استخدم النظام القوة والقصف العشوائي لاستعادة السيطرة على مراكز المحافظات، مما أدى لكسر الفعل الشعبي في المدن بسرعة فائقة **(رؤوف.عادل ، ٢٠٠٠، ص ٢١٢)**. وفي هذه المرحلة الحرجة، انتقل الثقل العملياتي نحو قاطع الروطة والكسارة في نيسان ١٩٩١، وتجلى الدور التكتيكي للصافي كقائد ومشرف ميداني متمكن من إدارة المسارح القتالية المعقدة؛ إذ أُنيطت إليه مسؤولية القاطع، واستثمر خبرته الأكاديمية العسكرية في وضع خطة دفاعية تعتمد على الجغرافيا المائية، كما أشرف بنفسه على تأمين طرق انسحاب المقاتلين والعوائل من مناطق الضغط نحو عمق هور الحويزة (الأسدي، ٢٠٠١، ص ٣٧٠). وفي ظل الحصار التقني الذي أعقب سقوط المدن، أدار الصافي ورفقاؤه عمليات التخطيط بالداخل، حيث ابتكر حلولاً تقنية لإدامة البث الإذاعي وتأمين شبكة النداء اللاسلكي، واضعاً التكتيك الأمني بتوزيع مواقع البث واستخدام الهوائيات الجوالة لتضليل الرصد الراداري السمتي **(مكتب الإعلام المركزي، ١٩٩٨، المجلد ١، ص ١٤٥)**. ومع نهاية عام ١٩٩١، بدأت تظهر الإرهاصات الأولى لسياسة عزل قواطع الأهوار، نُسقت عمليات لعرقلة التحركات الهندسيّة التمهيدية للنظام **(صحيفة الشهادة، ١٩٩١، ص ٤)**

بدأت ملامح النهاية الفعلية للانتفاضة تتبلور في ربيع عام ١٩٩٢؛ فبينما كانت المدن قد هدأ زخمها قسراً، استمر الصمود في العمق المائي حتى بدأ تنفيذ مشاريع التجفيف الكبرى ، وهي المشاريع التي استهدفت تجريد المنطقة من غطائها الطبيعي **(رؤوف.عادل، ٢٠٠٠، ص ٢١٥)، (مكتب الإعلام المركزي، ١٩٩٨، المجلد ١، ص ١٤٨)**

٤ :إدارة التحولات الميدانية: استراتيجية الصمود التنظيمي في ظل سياسة التجفيف والحصار حتى ٢٠٠٠

تبنى النظام في أعقاب انتفاضة عام ١٩٩١ استراتيجية الأرض المحروقة عبر استهداف البيئة الطبيعية للأهوار؛ إذ شرعت الأجهزة الحكومية في تنفيذ مخطط عسكري استهدف تجفيف ١٥,٠٠٠ كم² من المسطحات المائية. نُفذ ذلك المخطط عبر منظومة من السدود الترابية والقنوات التحويلية الضخمة، أبرزها نهر العز الذي شق قلب الأهوار الوسطى لقطع الإمداد المائي عن هور الحمار، ونهر أم المعارك والقناة الثالثة التي عملت كممرات تصريف قسرية سحبت شريان الحياة من المنطقة وحولتها إلى أراضٍ غرينيه قاحلة **(إبراهيم، ٢٠٢٠)**. كان الغرض العسكري المباشر من ذلك هو حرمان المعارضة من المانع المائي وتحويل بيئة العمليات من مناطق غائرة يصعب اختراقها إلى مساحات مكشوفة تقع تحت رحمة الرصد الجوي ومدفعية الفيلق الرابع.

أن التجفيف تم عبر آلية الحصار المائي من خلال حبس المياه في مصب واحد أُطلقت عليه تسميات ترويجية مثل نهر القائد أو المصب العام للتمويه على الهدف الحقيقي المتمثل في مسح تلك البقعة المائية من الخارطة، كاشفاً عن دافع استراتيجي مبطن وراء هذه العملية، وهو الرغبة في استثمار المخزون النفطي الهائل الذي يمتد تحت تلك الأراضي، مثل حقل مجنون وغيره من حقول ميسان، مما تسبب في كارثة بيئية ومناخية رفعت درجات الحرارة إلى مستويات قياسية **(شحم، ٢٠٢٦)**. اذ أنه بعد اشتداد عمليات التجفيف في النصف الثاني من عام ١٩٩٣، نزح الآلاف من السكان نحو المناطق الحدودية، لا سيما في هور الحويزة، اذ عاشوا في ظروف قاسية جداً تحت وطأة الحرارة والرطوبة الخانقة والفقر المدقع، في ظل مطاردات أمنية مستمرة **(وود، ١٩٩٣)**.

وفي خضم التحول القسري، برز دور الصافي والذي انتقل من مرحلة الصدام المسلح إلى إدارة شؤون الصمود وتأمين ديمومة الوجود الميداني. أن الصافي أدار عملية التوطين الاستخباري عبر تفكيك الكتائب الكبيرة وتحويلها إلى خلايا حضرية صامتة، زرعها بعناية داخل الاماكن السكنية الجديدة التي أنشأها النظام لإسكان المهجرين من المعدان **(Helfont, 2022)**. ذلك التكتيك مكن الصافي من امتلاك شبكة رصد بشري داخل النسيج الاجتماعي

الجديد، مما أتاح له التنبؤ بالتحركات الأمنية قبل وقوعها وتأمين مسارات بديلة للسلاح والأفراد عبر الأهوار المجففة **(الأسدي، ٢٠٠١)**.

فضلا عن الحصار الذي كان يشهده العراق في التسعينات من القرن الماضي واجه الصافي سياسة الحصار الغذائي والتقني التي فرضها النظام عبر ابتكار نظام الإمداد السري ؛ اذ أدار شبكات لتأمين المؤن الطبية واللوجستية تحت غطاء تجارة المواشي، مستخدماً خبرته في صنف المخابرة لتأمين خطوط اتصال بعيدة عن الرصد. وتوثق المصادر أن الصافي اعتمد بروتوكول لإدارة المراسلات القيادية يعتمد على تبادل الرسائل في نقاط جغرافية مهجورة دون حدوث لقاء مباشر بين السعاة، مما أبطل مفعول الرصد الإلكتروني واللاسلكي للفيلق الرابع **(مكتب الإعلام المركزي، ١٩٩٨)**.

ومع اشتداد وطأة الجفاف في أواخر التسعينيات، قاد الصافي تحركاً نحو القواعد العشائرية في مناطق الجنوب ، اذ أشرف الصافي على استراتيجية لإعادة توزيع قواته وتأمينها من خلال تفكيك التشكيلات العسكرية الكبيرة وتوزيع أفرادها كخلايا صامتة داخل تجمعات النازحين في عمق الأهوار وعلى حدودها. فبدلاً من بقائهم كقوة عسكرية مكشوفة، انخرطوا وسط عوائل 'المعدان' في مناطق النزوح القاسية (مثل هور الحويزة)، مما وفر لهم غطاءً شعبياً وبيئة آمنة لصيانة أسرار التنظيم بعيداً عن ملاحقات النظام الاستخباراتية. ذلك التغلغل السري وسط تجمعات الأهوار المبعثرة هو ما جعل مجموعات الصافي الطرف الأكثر تماسكاً وجاهزية في ربيع ٢٠٠٣؛ فبمجرد انهيار السلطة، انتقلوا من حالة التخفي بين القصب والأكواخ إلى الانتشار الميداني الصاعق، مسيطرين على المفاصل الحيوية لجنوب العراق خلال ساعات معدودة **(مركز دراسات جنوب العراق، ١٩٩٥)**

٥: الاستراتيجية العليا والتحولات البنيوية في فكر وأداء نوري جعفر الصافي (أبو لقاء): من قيادة الميدان إلى هندسة السيادة ولغز الغياب (٢٠٠٢-٢٠٠٣)

مع اقتراب التغيير العسكري عام ٢٠٠٢، انتقل اهتمام الصافي (أبو لقاء) نحو تهيئة الاوضاع بالداخل العراقي ؛ لتجنب الانهيار الشامل في مناطق العمليات برز دور الصافي (أبو لقاء) كعنصر محوري في العمل التنسيقي بين قوى المعارضة ، وتجسدت خبرته الميدانية في تنظيم الاستعراض العسكري لفرقة الإمام علي (ع) في منطقة ميدان بالسليمانية، حيث شغل منصب نائب القائد لقوات **بدر**؛ وكان هذا الاستعراض يهدف إلى إثبات الطابع الوطني والسيادي لتلك القوات، مما ساهم فعلياً في حمايتها من ضربات جوية دولية محتملة نتيجة التنسيق والظهور الإعلامي المدروس ،وعندما قام الاحتلال الأمريكي في نيسان ٢٠٠٣ بدخول بغداد واسقاط النظام العراقي حدث اضطراب العام جعل من أي جهد تنظيمي أمراً عسيراً؛ إلا أن الصافي بحكم خبرته، ركز جهده على محاولة منع التعرض للمنشآت الخدمية، كنوع من حماية المصلحة العامة في بيئة تفتقر للسلطة **(الفتلاوي، ٢٠٢١)**؛ **International Crisis Group. (2003)**؛ **(وكالة نون الخبرية)**

تميز أداء الصافي في تلك الأسابيع الحرجة إلى استنهاض الكوادر التي عملت معه وتوجيهها للعمل كـ قوى تنظيمية مجتمعية لتأمين الأحياء والمنشآت الحيوية، وهو دور فرضته الضرورة الوطنية أكثر من كونه مشروعاً سياسياً (الخفاجي، ٢٠٢٠) ، إن قيمة الصافي في تلك اللحظة تجلت في تقديم نموذج لـ القائد الملتزم الذي رفض الانخراط في الفوضى، وسعى لترسيخ ركائز أمنية أولية منعت تحول الصراع الميداني إلى صدامات داخلية. عادل رؤوف (٢٠٠٠) بذل الصافي ومن معه جهوداً استثنائية لتطبيق رؤية السيد الحكيم في إرساء مؤسسات الدولة وليس تقويضها. ووصفه المطلعون بأنه كان يتمتع بـ سَكينة القادة في التعامل مع الأزمات، مما جعله عنصرَ استقرارٍ جوهرياً ومرجعاً في تلك المرحلة الحرجة (الفتلاوي، ٢٠٢١). اذ آمن بضرورة تحويل قوة المعارضة إلى إرادة بناء وهي الرؤية المستمدة من توجيهات السيد الحكيم

إلا أنَّ هذا المسار الطموح اصطدم بواقع الغيابِ المفاجئ؛ إذ جاء رحيلُ نوري الصافي في أواخر أيلول من عام ٢٠٠٣ على طريق بغداد – النجف **(جريدة العدالة ، العدد ٣٩، بتاريخ ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٣)**.وتحديداً بعد مدة وجيزة من استشهاد السيد محمد باقر الحكيم الذي نال الشهادة في آب من العام نفسه. ان وفاته وضعت حدّاً لمسار كان يُراد له أن يكون ركيزةً لبناء الدولة السيادية، لاسيما وأنَّ الترتيباتِ القائمة آنذاك كانت تضع الصافي كخيارٍ محوريٍّ لتولي الحقائب الأمنية والسيادية الكبرى في الدولة الناشئة (كالداخلية أو الدفاع)، لما يمتلكه من خبرة ميدانية وعقلية مؤسساتية.

وتستنتج الباحثة بأن الصافي لم يكن مجردَ شخصيةٍ عسكريةٍ خاضتِ التجارب، بل كان يؤمنُ بأنَّ التضحياتِ يجبُ أن تتحولَ إلى جهدٍ مؤسساتيٍّ يُدارُ بأيدٍ وطنيةٍ تضعُ مصلحةَ البلادِ فوقَ كلِّ اعتبار. والحقيقةُ التي بقيتْ مخفيةً في

زوايا ذلك الطريق، هي أنَّ وجودَ قائدٍ يملكُ ذلك الوضوحَ في الانتماءِ اصبح يُمثل ضميراً حياً يصعبُ تجاوزُهُ أمامَ ترتيباتٍ كانت تُرسمُ للمستقبل. انتهى دورُ الصافي في حساباتِ مَن رأوا في مشروعه لاستقلال القرار الوطني ممانعةً لا تخدمُ تطلعاتِهم، فكانَ غيابُهُ بمثابةِ رحيلٍ للعقولِ الثابتة التي لا ترضى بأن تكونَ مجردَ تقليد لغيرِها.
وبناءً على ما تقدم، يمكِن القول أنَّ غياب نوري الصافي كان إزاحةً لنموذجٍ وطنيٍّ رفض مقايضةَ السيادةِ بالمكاسب. اذ أفرزَ رحيلُهُ فراغاً استراتيجيا سمح بتمريرِ خياراتٍ كانت تخشى حضورَهُ وصرامتَهُ المبدئية، ليبقى أثرُهُ التاريخيُّ متمثلاً في ذلك الموقفِ الثابتِ الذي يُنبئنا بأنَّ مشروعَ الدولةِ المستقلة كانَ يتطلبُ غيابَ الأوفياء لكي يكتملَ رسمُ ملامحِ الواقعِ الجديد بعيداً عن تطلعاتِهم الوطنية..

الخاتمة

لم تكن سيرة نوري الصافي مجرد واقعة عابرة في سجل الانشقاقات العسكرية، بل كانت محطة مفصلية في تاريخ المعارضة العراقية المعاصرة. وكيف استطاع أن ينقل تقاليد المؤسسة العسكرية العراقية العريقة من أروقة الكلية العسكرية وجبهات الحرب التقليدية إلى مجاهل الأهوار محولاً إياها من مسرح للهروب والضياع إلى جبهة صمود حقيقية أربكت حسابات السلطة لمد عقدين من الزمان. أثبتت الدراسة أن انشقاق الصافي لم يكن تمرداً على الجندية، بل كان انحيازاً لأخلاقياتها؛ اذ رفض تسييس الجيش وتحويل السلاح من حماية الوطن إلى أداة لخدمة الحزب، فكان خروجه محاولة تاريخية لإنقاذ شرف الرتبة من التبعية والانهيار، وكشفت الدراسة أن حضور الصافي في جنوب العراق غير طبيعة المواجهة؛ فبفضل قيادته الميدانية ، انتقلت المعارضة من حالة المجموعات المشتتة إلى كيان منظم يمتلك لغة موحدة في الإدارة والتواصل، مما جعل من الأهوار عائقاً استراتيجياً عصياً على الاختراق، حتى بعد لجوء النظام لسياسات التجفيف برزت القيمة التاريخية للصافي في لحظة التحول الكبرى عام ٢٠٠٣، حين أثبت أن هدفه لم يكن تقويض الدولة بل تطهيرها؛ مثل رحيل ابو لقاء المفاجئ في خريف عام ٢٠٠٣، وفي ذروة الحاجة إلى عقليته الوطنية المتزنة ، خسارة لنموذج القائد الذي جمع بين وقار الضابط الأكاديمي وإخلاص المناضل الميداني. ويبقى أثره التاريخي وثيقة تنصف ذلك الجيل من العسكريين العراقيين الذين واجهوا محنة الصراع بين الواجب والضمير، واختاروا في نهاية المطاف أن يظلوا أوفياء للأرض وللمبادئ التي نشأوا عليها، ليتركوا بصمة لا تُمحى في تاريخ العقيدة العسكرية والوطنية للعراق المعاصر

التوصيات

بناءً على النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة في سيرة الصافي (أبو لقاء)، يتقدم البحث بالتوصيات الآتية:

١. نوصي بضرورة فتح آفاق البحث الأكاديمي لتوثيق سير العسكريين الذين انحازوا للخيار الوطني بعيداً عن المؤسسة الرسمية المؤدلجة، واعتبار تجربة (أبو لقاء) مادةً علمية تُدرس في الكليات العسكرية كنموذج لـ إدارة القيادة والسيطرة في الظروف غير النمطية.

٢. نوصي المؤسسات المعنية بالتوثيق التقني بدراسة الكيفية التي استطاع بها الصافي تطويع مجاله العسكري في بيئة جغرافية معقدة (الأهوار)، وتحويل الإمكانيات المحدودة إلى شبكة اتصال سيادية أجهضت التفوق الاستخباراتي للنظام آنذاك.

٣. توصي الدراسة الجهات المعنية بضرورة إنصاف هذا الجيل من الضباط الأكاديميين الذين واجهوا التهميش ، وذلك عبر تخليد ذكراهم بإطلاق أسمائهم على القاعات الدراسية أو الأجنحة التقنية في الكليات العسكرية. الإجراء ليس مجرد تكريم رمزي، بل هو اعترافٌ بدورهم التاريخي في الحفاظ على شرف الرتبة وصون التقاليد العسكرية الأصيلة، ليكونوا قدوةً للأجيال القادمة في الجمع بين الانضباط العلمي والولاء الوطني.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الوثائقية والشهادات الخاصة

- **الصافي، تقى نوري.** (٢٠٢٦، ١٦ فبراير). شهادة حول السيرة والمواقف الميدانية للعقيد نوري الصافي [مقابلة شخصية عبر تطبيق WhatsApp].
- **مكتب الإعلام المركزي.** (١٩٩٨). صفحات من تاريخ حركة المجاهدين في العراق (مجلد توثيقي). إصدارات المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق.

ثانياً: الكتب العربية والمترجمة

- **إبراهيم، محمد زكي.** (٢٠٢٠). جمهورية الأهوار (تقديم نوري المالكي). بيروت: دار الرافدين.

- **الأسدي، مختار**. (٢٠٠١). فيلق بدر: الجذور، التأسيس، المسيرة (وتاريخ العمل المسلح في الأهوار). طهران/بيروت: مؤسسة التوجيه الإسلامي/مؤسسة الرافد.
- **البرزنجي، فوزي**. (٢٠١٤). تاريخ الكلية العسكرية العراقية ١٩٢٤-٢٠٠٣. عمان: دار اليازوري العلمية.
- **الحيدري، إبراهيم**. (٢٠٠٣). سوسيولوجيا العنف والتعصب في المجتمع العراقي. بيروت: دار الساقي.
- **حميد، رائد**. (٢٠١٦). الجيش والعقيدة: تحولات المؤسسة العسكرية العراقية. بغداد: دار الرافدين.
- **رؤوف، عادل**. (٢٠٠٠). عراق بلا قيادة: قراءة في أزمة القيادة الإسلامية الشيعية في العراق (والعراق: من الكفاح المسلح إلى العمل السياسي). دمشق: المركز العراقي للدراسات.
- **رؤوف، عادل**. (٢٠٠٢). العمل الإسلامي في العراق: تحديات التنظيم السري. دمشق: دار الروضة.
- **شبر، محمد علي**. (٢٠١٠). تاريخ الحركة الإسلامية في العراق: دراسة في الجذور والمنطلقات والأهداف (ط١). بيروت: دار الرافدين.
- **عبد الجبار، فالح**. (٢٠١٠). الحركة الإسلامية في العراق: منظور سوسيولوجي (والقبائل والسياسة في العراق). بيروت: دار الفارابي/معهد الدراسات الاستراتيجية.
- **مركز دراسات جنوب العراق**. (١٩٩٥). الأهوار: جريمة القرن والتحدي الميداني (والتنظيم الميداني وآفاق التحول). لندن: دار الرافدين.
- **مركز دراسات شهيد المحراب**. (٢٠٠٨). موسوعة شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم (المجلد ٣). النجف الأشرف.
- **المؤمن، علي**. (٢٠٠٤). سنوات الجمر: مسيرة الحركة الإسلامية في العراق (١٩٥٧-٢٠٠٣). لندن: دار المسيرة.

ثالثاً: الرسائل والأطروحات الأكاديمية

- **الخفاجي، حيدر**. (٢٠٢٠). النشاط العسكري للمعارضة العراقية في جنوب العراق (التطور التكتيكي ١٩٨٠-١٩٩١) [رسالة ماجستير]. جامعة البصرة/دار الرافدين.
- **الغرابي، جاسم**. (٢٠١٢). المعارضة العراقية: دراسة في التكتيك الميداني والعملياتي [أطروحة دكتوراه]. جامعة الكوفة.

رابعاً: التقارير الدولية والمصادر الأجنبية

- **Central Intelligence Agency (CIA)**. (2017). The Iraqi Military: Perspectives on Defection and Morale. FOIA Electronic Reading Room.
- **Helfont, Samuel**. (2022). Compulsion in Religion: Saddam Hussein's Islam Campaign and the Roots of Insurgency. Oxford/Cambridge University Press.
- **Human Rights Watch**. (1993). Genocide in Iraq: The Anfal Campaign (والغاز بصمات: العراق في الهجمات الكيماوية). New York.
- **International Crisis Group**. (2003). جنوب العراق: المنطقة المنسية. تقرير رقم 21.
- **Jane's Information Group**. (1988). Analysis of Non-Conventional Warfare: The Iraqi Marshlands Front. Jane's Defence Weekly, 10(14).
- **Wood, Michael**. (1993). The Destruction of the Marsh Arabs. UN Environment Programme Report.

خامساً: الصحف والمجلات والوسائط الرقمية

- **جريدة العدالة (بغداد)**، العدد ٣٩، بتاريخ ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٣.
- **صحيفة الجهاد (طهران)**، العدد ١٣٤، بتاريخ ٢١ أيار ١٩٨٤
- **صحيفة الجهاد (طهران)**، العدد ٤٥٢، تشرين الأول ١٩٩٠
- **صحيفة الشهادة (لندن)**، الأعداد (١٤٥، ١٥٤) لعام ١٩٨٨، وأعداد نيسان-حزيران ١٩٩١.
- **مجلة رسالة العراق (لندن)**، الأعداد (٤٩، ٦١) للأعوام ١٩٨٢، ١٩٨٤.
- **مجلة المجلة (لندن)**، العدد ٣٩٠، كانون الأول ١٩٨٧.

- **الصافي، نوري جعفر**. (١٩٨٦). فيلم أرشيفي: تدريبات الصنوف في الأهوار. مكتب الإعلام الحربي (نشر ٢٠٢٤). (فيديو)مسترجع من: /Facebook https://www.facebook.com/reel/667825049405061
- **عالم حي**. (٢٠٢٦). البيت الذي أرعب البعث: أسرار عائلة الصافي مع خالد الصافي(فيديو).يوتيوب: https://www.youtube.com/watch?v=GHb7Mi29Y84
- **قناة الفرات الفضائية**. (٢٠١١). برنامج في رحاب الشهادة: سيرة الشهيد أبو لقاء الصافي. (حلقة تلفزيونية)
- **شحم، محمد**. (٢٠٢٦). جريمة تجفيف الأهوار. برنامج سنوات العبث، قناة العراقية الإخبارية. (فيديويوتيوب) https://youtu.be/FodXsOvgGFAsi=Uj5e2PclztlO1Dq
- **وود، مايكل**. (١٩٩٣). وثائقي نازحو الأهوار (النصف الثاني من ١٩٩٣). أرشيف رقمي amhed849 (مسترجع ٢٠٢٥)(فيديو)
- **عبد المهدي، عادل**. (٢٠١٧). قبل ١٤ عاماً.. العودة إلى بغداد. وكالة نون الخبرية.https://non14.net/83008